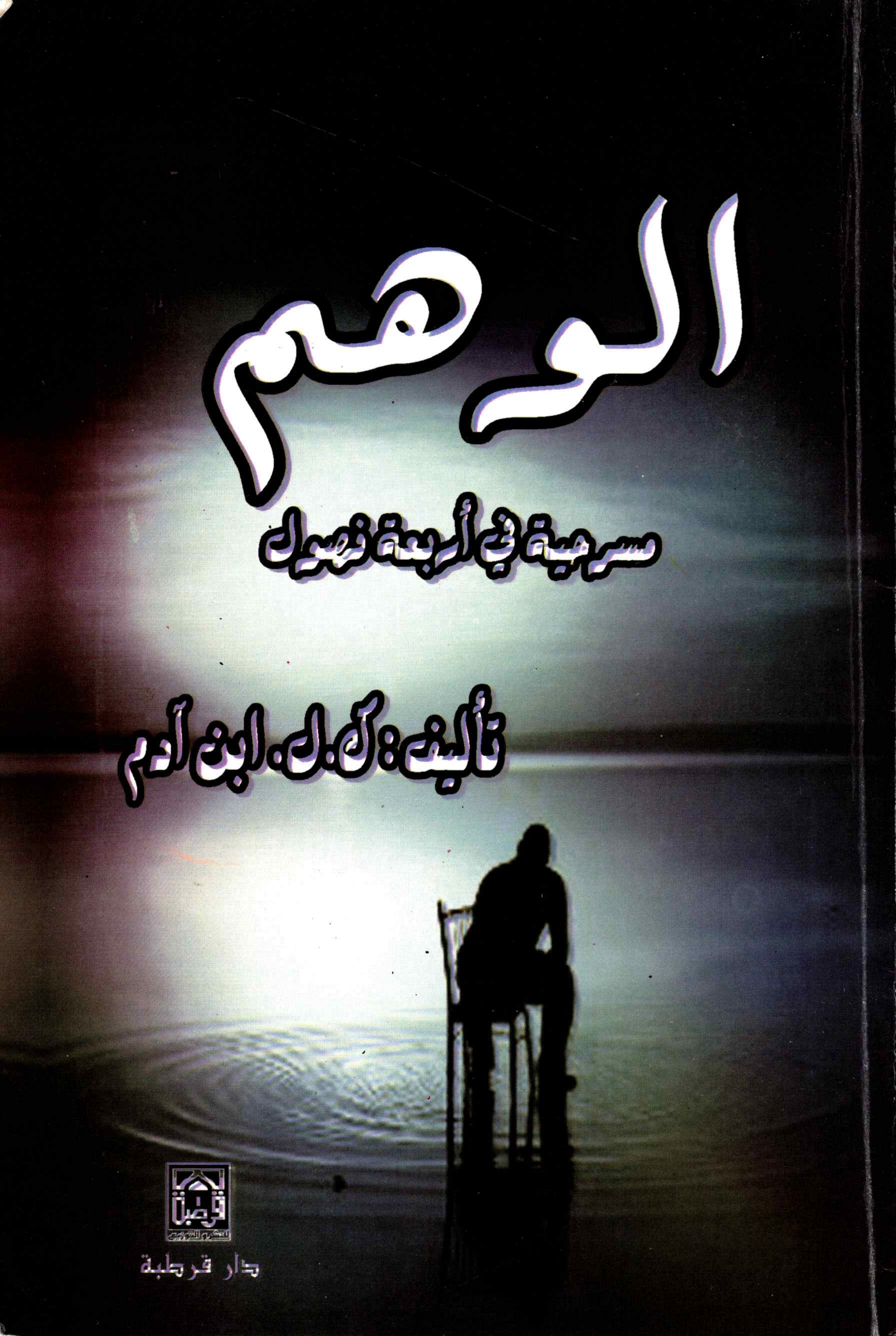

الوهم
مسرحية في أربعة فصول
تأليف: ك. ل. ابن آدم
دار قرطبة

إهداء

إلى الناشرين و المترجمين

أهدي مسرحاتي الست (6) إلى الناشرين و المترجمين ابتغاء نشرها بلغتها - العربية - أو ترجمتها مجانا بدون إذن منا كاتبها أو أي أحد ناشرا أو غيره وبهذا التصريح يحق لكل مهتم أن ينشر أو يترجم في العالم بأي لغة فتكون متوفرة للناس كافة للقراءة و التمثيل كذلك ولو بلغتها الأصلية - العربية
وختاما التحية والسلام للجميع

التوقيع: ك.ل: ابن آدم

ملاحظة: آدم إسم مستعار من أبينا آدم عليه السلام. وليس الإسم أبي
التصريح في يوم: 6-7-2025



في سنة
2008-7-15


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة
الديوان الوطني لحقوق المؤلف و الحقوق المجاورة
بطاقة الإنتساب رقم: 1138
اللقب : لعور
الاسم : كمال الدين
الاسم المستعار: ابن آدم
ولد(ت) في : 1953/11/05 ب : سكيكدة
انتسب(ت) الى الديوان بتاريخ : 2011/09/26
بصفة : مؤلف
لا تخول هذه البطاقة صاحبها أية صفة مهنية

الوهم

مسرحية

في أربعة فصول

كتبها: ك.ل: ابن آدم

الطبعة الأولى

1432هـ - 2011م

رقم الإيداع القانوني: 1995–2011 :dépôt légal

ردمك: ISBN 978 - 9947 – 907-74-0

دار قرطبة للنشر والتوزيع

قطعة 68، طريق المندرين، المحمدية - الجزائر

TEL 0550 136 500

Email: darkortoba@hotmail.com

الشخصيات:

1) الأم: زكية ← 65 سنة

2) الابن: **عقبة** ← 32 سنة أستاذ

3) الابن: **سهيل** ← 35 سنة طبيب

4) الابن: **منصور** ← 40 سنة محام

5) الكنة: **حسناء** ← 22 سنة زوجة عقبة

6) الكنة: **فاضلة** ← 25 سنة زوجة سهيل

7) الكنه: **هند** ← 30 سنة زوجة منصور

8) الخادم: **مريم** ← كبيرة السن

الفصل الأول

المنظر

بهو واسع له بابان الأول خارجي رئيسي يؤدي إلى الحديقة ثم إلى الشارع، بينما الباب الثاني فهو باب واسع يؤدي إلى الممر ثم إلى الغرف وملحقاتها ثم إلى الحديقة، بالبهو أريكة ومقاعد ومكتبة صغيرة أمام المسرح على اليمين وأمامها مكتب، وعلى اليسار نافذة تطل على الحديقة التي تحيط بالمنزل من الجهات الأربع.

المشهد الأول

في البهو زكية ومريم الخادم وهما واقفتان - فترة- ينطلق الحوار-

مريم: إن حسناء كنتك قد بدت لي اليوم في صحة جيدة ولا يبدو عليها المرض، بعد إجهاضها الجنين الثالث إني لم أنقطع عن تفقد صحتها كل صباح، قبل الشروع في المسح والغسيل وهذا واجب علي.

زكية: لقد عادت إليها عافيتها بعدما مر أسبوع على إجهاضها للمرة الثالثة، غير أن عودة عافيتها إليها لم تكن تشغل بالي وإنما بقاء الأمور غامضة بغير نتيجة، أصارحك القول يا مريم بأنه قد نفذ صبري من تتالي الإجهاضات التي نجهل أسبابها، ومن خلال هذا الموقف الحرج لي أنضم إلى رأي سهيل في إقامة التحاليل على حسناء، لمعرفة السبب ولو فرضا أنها تأتي سلبية حسب تشاؤم عقبة.

مريم: من حسن الرأي يا سيدة زكية يلجأ ابنك عقبة إلى إقامة التحاليل على زوجته، وكله أملا في نتيجة إيجابية ما دام أخوه سهيل يحثه عليها لكونه طبيبا.

زكية: قلت لك أنضم إلى موقف سهيل في معرفة سبب الإجهاض بالطب، وسأدفع عقبة إلى التخلي عن تشاؤمه وتوقع نتيجة سلبية، ففضل إيقاف زوجته عن الإنجاب إلى آخر عمرها، بيد أن رأيه الفارغ هذا قد أصبح يسبب لي القرف بعد ثلاثة إجهاضات.

مريم: يا سيدة زكية لا بد لابنك من الأمل في نفسه، وإنه بلسم يذهب عنه شكوكه التشاؤمية فيستخلص قدرة الطب على تقويم الولادة في زوجته.

زكية: لولا هذه الشكوك المتشائمة التي استخلصها من كتبه الفلسفية فدفعته إلى توقع نتيجة سلبية في زوجته، لكانت التحاليل في أيدينا منذ مدة طويلة فنتعرف بها على مصير حسناء إما في علاجها لإيلاد له مولودا تام الخلق وليس جنينا مجهضا للمرة الثالثة، وإما في إيقافها عن الإنجاب إلى آخر عمرها إذا عجز الطب عن العلاج.

مريم: إن نفسي المفعمة بالإيمان توحي إلي بالفرج لهذه الدار لا يشعر به مثلي إلا من يترجى لها خيرا في نفسه مثلي.

زكية: سأكون كلي أملا في الفرج لحسناء ولن أظل في حيرة من أمرها، عسى أن يخفف عنها معاناتها إني أصبحت أعد أزمتها أزمة لي كذلك.

مريم: بالدين تحل الأزمات لنا ولو برقية عند إمام يأمل بها ابنك نتيجة إيجابية فيقدم على التحاليل هادئ البال متخلصا من شكوكه وهذا هو اعتقادي دوما، أساهم به معكم عسى أن يفعم النفوس بالإيمان فتهدأ هذه الدار

بعدما تتخلص من فاجعة الإجهاض (يظهر عقبة في باب الممر) ها هو قادم أقنعيه ولو بالدين.

(تذهب من باب الممر).

زكية: حسنا علي المهمة... عقبة استمع إلي جيدا لأنني لا أريد أن أظل مستمعة إلى التعازي من الأقارب والمعارف إلى ما لا نهاية كلما أجهضت حسناء، لقد حان الوقت بأن تتخلى عن رأيك القاتم عسى أن تحل أزمتنا بالتحاليل مثلما يحثك أخوك سهيل عليها.

عقبة: ثقي يا أماه بأنني قد رسوت على حل نهائي لأزمتنا بغير تردد، وهو إيقاف حسناء عن الإنجاب إلى آخر عمرها، أطلعها على هذا القرار الصائب عندما تسمح الظروف بحديث في هذا الموقف.

زكية: لن أقبله منك ما لم تتم التحاليل عليها وجوبا منك مثلما يصر عليها سهيل، أحيطك علما بأنه لم يقنعني موقفك هذا سابقا واليوم أصبحت منقادة بشدة إلى موقف أخيك، ورافضة تشاؤمك الذي استخلصته من كتبك الفلسفية.

عقبة: إن تشاؤمي في نتيجة سلبية مستنتج من تشوه الأجنة لا أمل في تقويمها بالطب، ومن يزعم بالعلاج كأنه يريد الماء من السراب.

زكية: تفاءل تجد خيرا بل قرر التحاليل تلبية لنا ولو أنك متشائم منها، لكيلا يتخذ سهيل موقفك من الرفض عنادا له ولنا.

عقبة: ليس موقفي عنادا مثلما يظن سهيل وإنما توقع لهباء منثور منها، أدى بي إلى تفضيل الامتناع عن إقامتها وحسناء مؤيدة موقفي وهي الآن لا تتمنى إلا عودة عافيتها إليها.

زكية: إنها في صحة جيدة لكن ظروف فاجعتها للمرة الثالثة، قد حركت في نفسي شفقة عليها لا تهدأ حتى تستجيب لنا.

عقبة: أجلي هذا الموضوع إلى وقت قادم تخبرك حسناء عن أنها مقتنعة بإيقافها عن الإنجاب وتعده راحة لبالها.

زكية: بل تفضل معرفة مصيرها بالتحاليل التي بَثثت تشاؤمك فيها فاستسلمت لأرائك، لكنها لا تمتنع عنها إذا تخليت عن امتناعك عنها نظرا لتشاؤمك من سلبيتها، كأنك خبرت عنها في حلم غير أن موقفك الرافض لها قد أصبح يسبب لي التذمر، ولن أتخلص منه حتى تقررها مثلما يرى سهيل عسى أن تتخلص من فاجعة الإجهاض بعد ثلاث منها.

عقبة: أماه انتبهي إلي جيدا إني مقدر خيبة أملك في حفيد مني للمرة الثالثة، لكن النتيجة لم تكن بيدي أو بيد حسناء وإنما ظروف قاهرة

زكية: أؤيدك في أن النتيجة لم تكن بيدك أو بيدها لكن الطب يعرفنا على سببها وعساه يبشرنا بالفرج للأزمة فتهدأ نفسي، ليس برغبتي في حفيد منك لأن لي سبعة أحفاد من أخويك منصور وسهيل، وإنما بتوقعي في أن تلد حسناء مولوداً قويماً ولابد له من العلاج.

عقبة: أرجئي هذا الموضوع إلى وقت قادم أناقشك فيه قدر الكفاية، لكن الآن لا تسمح الظروف بالمناقشة فيه ونحن في صدمة الإجهاض و شدتها تلقتها حسناء.

زكية: أعلم أنها صدمت به فحركت مشاعري أكثر في هذه المرة اتجاهها بصفتها امرأة تأمل في الإنجاب القويم، ولن تتردد في أي اقتراح تراه يوصلها إلى الإيلاد الإيجابي غريزة فيها وهناك تهدأ هواجسها من الضرة لأنها تظن أني أدفعك إليها في المستقبل.

عقبة: ثقي بأنني لن أتخذ لها ضرة ولو لم يستقم الإنجاب لديها طول حياتها بل إني عازم على إيقافه.

زكية: وثق بأنني لن أدفعك إلى أن تتخذ لها ضرة ولو لم تلد طول حياتها بعد ما يقرره الطب عن يقين وليس تخميناً مثلك (يدخل سهيل من الباب الخارجي) ها هو سهيل الأدرى منا جميعاً بالطب يرى موقفك المتشائم من التحاليل غير منطقي.

سهيل: قبل أن أناقشه في قضية وجوب التحاليل على حسناء أسالك عن صحتها إني قدمت لهذا الغرض، ويكون مجيئ فاضلة بعد ساعة لهذا الغرض كذلك.

زكية: إنها في صحة جيدة.

عقبة: لكنها يائسة عابسة جداً ولذا أريد منكما أن تخوضا في حديث بعيد عن أزمتنا توقعا من أن يصل إلى مسامعها، لو تدخل علينا على حين غفلة فيزيدها تأزما لو يكون موضوعنا.

سهيل: بل يخفف موضوعنا عن الأزمة إذا ما أخبرتها عن أنك تخيلت عن تشاؤمك فقررت التحاليل؟

زكية: نعم الرأي الهادف وبه تحل الأزمة لنا جميعا.

عقبة: ومن يدرينا بأن الأزمة تحل بالتحايل؟

سهيل: ومن أدراك بأنها لا تحل بها؟

عقبة: إني لم أجزم قطعاً بسلبية النتيجة لكن ما أجزم به هو أن أزمة الإجهاض ثابتة.

سهيل: مكانك ما دمت تعترف بأن الإجهاض أزمة لنا لكن يقدم لنا حلها العلم.

عقبة: لو اقتنعت بأن العلم قادر على حلها لفعلت به.

زكية: سهيل أقنعه بأن الطب قادر على الوصول إلى نتيجة إيجابية في حسناء واذكر له أمثلة حلت به تنزع منه التشاؤم، وأنا بدوري أهدئ حسناء وأبعث في نفسها أمل العلاج فتتهيئ له آملة. (تذهب من باب الممر).

سهيل: عقبة لقد عزمت على مناقشتك في التحاليل ولن أنقطع عنها حتى تستجيب لي فتقررها لنتعرف بها على تتالي الاجهاضات التي نجهل سببها.

عقبة: إن سببها خلل بيولوجي من الذكر والأنثى يعجز الطب عن إصلاحه.

سهيل: هذا من نتيجة دروسك الفلسفية في الثانوية واستخفافك بالعلم الذي رأيته غير قادر على إصلاح الخلل البيولوجي، ولولا العلم لما سهلت الحياة على البشرية فأصبح الإنسان يحلق في الفضاء بعد ما كان همه سابقاً لقمة العيش ويرهبه وباء إذا ما حل في البلاد مثل الطاعون على سبيل المثال.

عقبة: إني لا أجهل بعض المزايا التي توصل إليها الطب، العلم لكنه يظل محدودا لا يحل لنا كبائر الأزمات ومنها أزمتنا الكبرى في هذه الدار.

سهيل: بل ربما يقدم لنا حلها حالما يستنتج أن خلل الإنجاب قابل للإصلاح بالأدوية.

عقبة: وإني أتوقع أنه يستنتج خللا في التركيب البيولوجي للأنثى والذكر بغير علاج فيقرر وقف الإنجاب إلى الأبد وهو خلاصنا، وكل هذا المشوار المتوقع عندي بناء على الأجنة المجهضة بشعة قد توصلت إليه بتأملي فيها بغير تحاليل طبية.

سهيل: ومن أدراك بأن الخلل غير قابل للعلاج لكما معا.

عقبة: أدركته من خلال تشوه الأجنة المجهضة فاقتنعت بأن لا أمل في نتيجة إيجابية.

سهيل: فرضا أن النتيجة تكون سلبية حسب احتمالك الذي استمددته من تشوه الأجنة لكن لن تخسر شيئاً في حال ما إذ تقرر التحاليل إلا دريهمات قليلة، وبقرارك تكون على يقين وليس على تخمين حسب أرائك.

عقبة: إني لم أهتم بالدراهيم التي لا يرجى منها شروى نقير أو بوقت العلاج، وإنما اهتمامي متجه إلى عبثية الفعل في حل معضلة بمعضلة أخرى.

سهيل: أي معضلة تتوقعها بعد معضلتنا؟

عقبة: هي معضلة الانفصال بين الزوجين بعدما يثبت الطب استحالة الإنجاب القويم بينهما.

سهيل: إن العلم لا يقرر الانفصال بين الزوجين وإنما يأمر بإيقاف الإنجاب بينهما إذا وجد خللا بيولوجياً غير قابل للعلاج.

عقبة: وهذا ما يجده لكنك لم تسلم به رغبة منك في أن تتعرف على سببه لتزداد علماً بالطب.

سهيل: إني أمارس مهنتي في المستشفى وكل يوم أزداد علماً بالطب غير أن إصراري على معرفة الخلل فيها نابع من رغبتي في أن أخفف عنها معاناتها، لأنني أحتمل العلاج ولست يائسا منه مثلك.

عقبة: وإني لا أحتمله وفرضا يكون محتملا مثلما تظن لأرحتها وأرحت نفسي معها ولا أظل مفضل الامتناع عن التحاليل.

سهيل: إني لم أحتمل نتيجة سلبية مثلك ما دام العلم لم يفصح عن السبب الذي يأتي بأجنة مشوهة وإن هذا الظرف معروف عند أزواج بينهما قرابة الدم، وإنها غير موجودة بينك وبين حسناء لأنها ابنة نبيل ونعماء وهما بعيدان بعدا شاسعا عن عائلتينا، لا قرابة بيننا اللهم إلا في غابر الزمان لا يعتد بها قرابة في الطب إذن يظل سبب إجهاض أجنة مشوهة غامضا عندي حتى يوضحه العلم وعسى أن يكون له علاج ما زلت تمتنع عنه.

عقبة: افرض أي سبب منا معا غير قرابة الدم الغير موجودة يأتي بأجنة مشوهة لا أمل لنا في إصلاحها.

سهيل: بصفتي طبيبا لا أفرض ولا أحتمل وإنما أريد يقين السبب وبه يتضح لنا الطريق إما في علاج حسناء وإما في إيقافها عن الإنجاب وبمعرفة اليقين يحل الفرج في هذه الدار.

عقبة: تظن أن معرفة السبب تأتي لنا بالفرج لكن إذا كان السبب بغير علاج تتأزم الأمور.

سهيل: أي أزمة تتوقعها لو يخيب أملنا من العلاج؟

عقبة: لو يتأكد لنا سبب الخلل بغير علاج تطرح قضية الضرة أو قضية الانفصال بين الزوجين.

سهيل: أمن أجل هذين الافتراضين العشواءين امتنعت عن معرفة السبب؟

عقبة: إني لا أكترث بانفصالها عني إذا كان بعد سوء تفاهم بيني وبينها غير أن ما أخشاه هو أن يتم الانفصال بيننا بدافع قاهر لإرادتنا، كأن يكون السبب قابلا للعلاج بانفصال الزوجين عن بعضهما بعضا.

سهيل: ما دمت لا تكترث بانفصالها عنك بعد سوء تفاهم ثق بأنها لا تطالب به حفاظا على الوفاء الزوجي.

عقبة: قد تطالب به منتهكة الوفاء الزوجي بدافع غريزة الإنجاب فيها وإني لا أرفضه لها من أول وهلة لأنني أراها تطالب بتحقيق غريزتها وهي ظرف قاهر لها.

سهيل: إني لا أناقشك في مواقفك الزوجية بعد معرفة السبب غير أنه لا بدّ منه ما دمنا جميعاً نبتغي اليقين من الطب بما فينا حسناء حالما تدفعها أمي إلى صفنا وهي تمنيها بالإنجاب القويم بعد إصلاح الخلل.

عقبة: سترفض لها هذا الطلب مبررة موقفها بطاعتها لزوجها وهي تدري بأنني غير مقتنع بإقامة التحاليل لأنني أتوقع سلبيتها وفضلا عن هذا تدري بأنني لن أتخذ لها ضرة بأي صفة.

سهيل: قد تستجيب لمطلب أمي منها وتعده واجبا عليك بعد ما يئست من استقامة الولادة للمرة الثالثة.

عقبة: بل بَعْدَ خيبة أملها ثلاث مرات أجدها مقتنعة بإيقاف الإنجاب إلى آخر عمرها.

(تعود الأم إلى البهو).

سهيل: أماه إنه ما زال راسخا على موقفه كأنه عقيدة يؤمن بها منذ الصغر لكنني عزمت على زحزحته عنه ولو أستعين بحسناء.

زكية: نعم نقحمها معنا ولو تظهر بعض التردد استسلاما له غير أنها أفاقت من غفلتها آملة نتيجة إيجابية خلافا لسابق عهدنا بها.

عقبة: بل هي الآن يائسة مثلي لكن لا أنكر أنها لا ترفض التحاليل إذا ما عرضت عليها رغبة في الإنجاب القويم وهيهات هيهات بين الرغبة و المصير القاهر لنا جميعاً.

زكيـة: إنـك أصـبحت وحـدك متشـائما لأن حسـناء قـد أفاقـت مـن غفلتهـا متفائلـة بالعلاج.

عقبة: بل هي الآن مثلي متوقعة سوء العاقبة حسب عهدي بها.

زكية: إني استطعت تغيير رأيها في سوء العاقبـة التـي بثثتهـا فـي مخهـا بإذكـاري لها فضل الطب على البشرية ولـو لا هـو لمـا حثـك أخـوك علـى القدوة بـه لأنه يدري أكثر منا بنتائجه الباهرة.

عقبة: إن ظروفنا عويصـة بأجنة مشوهة يقف الطب إزاءها حائرا باهتا لوجـود خلـل بيولـوجي قـاهر للأنثـى والـذكر معـا لا أمـل فـي علاجـه يقره الطـب بمجرد التعرف عليه.

سهيل: أي خلل بيولـوجي قـاهر تتوقعـه غيـر خلـل تفكيرك فـي أن كـل شـيء فـي هذه الحيـاة قـاتم لا نـتخلص منـه إلا بمثلـه إنـي لسـت مثلـك لا أخمـن مـا دام الطب لم يفصح عن النتيجة و قد تكون إيجابيـة لـم يـدركها تفكيرك السقيم لأنه لا يرى أن لكل معضلة حلا إذا ثقنا في الطب بغير تشاؤم.

زكيـة: استجب لنا فإنك لن تخسر شيئا يذكر إذا قلت لنـا هـا انـا مستعد علـى تلبيـة طلبكم مني.

عقبة: بل إنـي مستعد علـى إنهـاء المناقشـة معكـم جمعـاً إلـى الأبـد بعدما اقتنعـت بتفكيري في أن وقف الإنجاب هو الحل الأمثل وخلاصنا.

زكية: ولن تقنعني برأيك هذا ما دامت الأمور مبهمة ونحن نامل منهـا الوضـوح بالطـب عسـى أن يكـون بشـرى حسـنة تسـتقيم بهـا الأمـور ولـذا أريـد منـك بإلحاح أن تقرر التحاليل حالاً في حضورنا.

عقبة: بل أقرر الخروج حالا لكيلا أسمع كلاما وهميا أخشـى أن تصـدقه حسـناء وأترككما ها هنا آملين الوهم بالطب وهيهات هيهات ما تأملون.

(يخرج من الباب الخارجي).

سهيل: أماه إني عزمت على مواجهته بصرامة حتى يستجيب لنا وإني أعلم أنه مصر على الرفض دوما حسب عهدنا به لكن لن ينال من عزيمتي في هذه المرة، ولا ضير في أن أقحم حسناء معي في مواجهته بعد أن أقنعها برفض أفكاره التافهة التي بثها في مخها فاستسلمت لمصيرها.

زكية: نعم، نستعين بها بعد ما تخلت عن خيبة العلاج وأظهرت أملاً فيه فاستغربته منها ولعل صدمتها للمرة الثالثة هي التي نبهتها إلى غفلتها فنبذت أفكار زوجها الفارغة التي كانت مقتنعة بها سابقا، لكن إصرارنا جميعا على التحاليل كأنها حتما مقضيا عليها يزيدها موقفنا نبذا لأفكاره التافهة أتوقع أن تحثه معنا عليها، وإن لم تفعل مثل سابق عهدنا بها أدغدغ فيها غريزتها بقولي لها: أيروق لك أن تظلي بغير أولاد كأنك عقيم.

سهيل: إنك لا تجهلين أفكار عقبة التي يجهر بها لنا وقد استوعب مخ حسناء القسط الأكثر منها لا قبل لنا بمحوها من نفسها حتى نبذل جهداً كبيرا معها.

زكية: إني مستعدة على أن أبذل جهدا كبيرا معها لإقناعها بوجوب التحاليل بعدما أثارت شفقتي عليها، وفضلا عن هذا إنها يتيمة الأم وأبوها مفقود منذ صغرها تجعلني ظروفها أتخذها بمثابة ابنة لي أي حل أسلكه معها بعد ثلاث سنين زواجا لها بغير نتيجة؟

سهيل: إني أرى أن نقنعها بفضل الطب على البشرية و أنه ما زال لم يقر بالعجز في قضيتها فيكون من غير المعقول أن نتوقع عجزه بناء على أراء وهمية تشاؤمية يستخف بها من يقدر الطب ومزاياه، فتقل خشيتها

من سلبية النتيجة المتوقعة عند عقبة وتدرك بعدئذ أن موقفه ما هو إلا وهم لأنه لم يستند فيه إلى الطب مثلما أنادي به فتراجع نفسها ثم تستخلص غفلتها تؤدي بها إلى القدوة بنا ولعلها تكون أشد طلبا له منا بالتحاليل الطبية.

زكية: أغلب ظني أنها راجعت نفسها من موقف التحاليل لأنها قالت لي: «إنه لم يبق لي أمل إلا الأمل المعلق على الطب» فاستغربت منها تغيير رأيها فجأة أجزم بأنها الآن على استعداد لقبول طلبنا منها بغير هاجس شائن.

سهيل: ناديها لي لأقنعها بأن تتخلى عن التشاؤم مثل زوجها إني طلبت من فاضلة أن تحدثها اليوم كثيرا حتى تنزع من نفسها خشيتها.

زكية: لقد أصبحنا كلنا نقتدي برأيك ونراه الأصوب ولا بدّ منه ونحن مستخفون بتوقع عقبة في سوء العاقبة.

سهيل: إني أرى أن تستخف بها حسناء معنا لكي تؤيد رأينا وهنالك يقنعه منصور بأنه مقصر في حق من حقوق زوجته عليه لا مفر له من تأذيته لها إذا طلبته منه.

زكية: كلي يقينا بأنها تطلبه منه اليوم ولا تظل صامتة مستسلمة لظروفها حسب عهدنا بها لأن أملا قد بعث في نفسها راغبة في أن تكون أمًّا مثل فاضلة وهند بدليل في أنها لم تذكر لي الخلل الميؤوس من شفائه اقتداء بأفكار زوجها التافهة.

سهيل: مهما يكن رأيها اليوم فيها فلن أتراجع عما عزمت عليه حتى تتم التحاليل وتكون نتيجتها معروفة لدي لا أخمن بعدئذ في سبب الإجهاض لأجنة مشوهة، ناديها لي يا أماه لقد حان الوقت بالوصول إلى اليقين غاية رجل العلم.

زكية: بعد فترة تكون هنا إنها في غرفتها متعافية لكنها يائسة عابسة تثير الشفقة عليها. (تذهب من باب الممر بعد فترة تعود مع حسناء).

حسناء: أهلا سهيل.

سهيل: إنك تبدين لي في صحة جيدة.

حسناء: أجل لكنني أصبحت أشعر بهم يزداد في نفسي يوما بعد يوم لا خلاص لي منه إلا بمعرفة مصيري لعله يخلصني مما أشعر به فتهدأ الأمور بالنتيجة.

سهيل: إني مقدر ظروفك لكن لا بد لها من حل وإني أراه في اقتناعك بوجوب التحاليل بغير تشاؤم عسى أن يفرج عنك الطب.

حسناء: إني كنت أفكر فيها حتى اقتنعت بأن أتخلى عن يأسي من الشفاء وبي رغبة في إقامة التحاليل لكن إذا جاءت سلبية حسب توقع عقبة وقدر علي اليأس فلن أحمله غيري، وإنما أتحمله وحدي بطلب الانفصال عن عقبة على اقتناع مني في أنه الحل الوحيد و أتجرعه وحدي.

زكية: ما هذا يا حسناء إننا لا نوافقك على طلب الانفصال عن عقبة بغير سبب معقول؟

حسناء: إنما لي سببا معقولا وهو ألا أحمل غيري يأسي وإنما أتحمله وحدي ليتسنى لعقبة الزواج ثانية فيكون لك أحفاد منه مثل منصور وسهيل.

سهيل: دعنا نعد إلى صواب الرأي الحكيم وهو ألا تتوقعي سلبية النتائج لأنه وهم منك مستوحى من تفكير عقبة ما دام الطب لم يقرها وقد يبشرنا بنتائج إيجابية ولو بعملية جراحية.

حسناء: إني اليوم مستعدة على ما ترغبون فيه مني ولن أتردد في إقامة التحاليل ولو تؤذي بي إلى عملية جراحية رغبة مني في تلبية طلبكم لأبرئ نفسي من أن أحملكم يأسي معي لكن إذا جاءت النتائج سلبية فاستعدوا على البحث عن زوجة لعقبة وهذا وعد مني لكم.

سهيل: يهمنا وعدك بقبول التحاليل بغير تشاؤم فقط.

حسناء: لقد وعدت بعدما قررت أن أتعرف على مصيري برباطة جأش عسى أن يكون زاهرا.

زكية: تفاءلي حسناء تجدي حسنا.

حسناء: إني مدفوعة اليوم إلى التفاؤل لأحقق تفاؤلكم لكن إذا تحقق تشاؤم عقبة أعدكم بمغادرة هذه الدار إلى البد لمحو الأسى منها حالما تستعدون لتزويجه ثانية.

سهيل: إنه لم يخطر على بالنا تزويجه وأملنا معلق على الطب.

حسناء: لكن إذا خاب أملكم منه تفكرون في تزويجه ولذا رأيت أنه لا بد من الانفصال عنه ليتسنى له الزواج ثانية وإني أدري بأنه لا يفعل حتى يتم انفصالي عنه وبه أنهي النزاع إلى الأبد.

زكية: إني لا أوافقك على انفصالك عنه ولو يخيب أملنا من الطب فرضا.

حسناء: لكنك لا توافقين على بقاء عقبة بغير أولاد.

زكية: إني غير موافقة على بقاء الأمور غامضة بينما بقاء عقبة بغير أولاد يعد شأنا له وحده وإني أعلم أنه لا يتخذ لك ضرة ولن أدفعه إليها إذن لا داعي للانفصال عنه.

حسناء: لكنني أظل حجرة عثرة يبطل دخول الزوجة الثانية ولذا رأيت انسحابي من حياته حتما مقضيا علي.

سهيل: وإني أرى قبولك بالتحليل حتما مقضيا عليك قبل أن تتخذي أي موقف بعد النتائج الطبية.

حسناء: إني طوع رغبتكم قرروا ما شئتم تجدوني أخطو إليه مغمضة العينين.

سهيل: وما أقرره هو وجوب التحاليل وأعتقد بأن عقبة لا يستجيب لنا ككل مرة لكن عزمك عليها يجده حقا من حقوقك الزوجية لا مفر له منه، وإلا عد نفسه مقصرا في حقك عليه فيتخلى عن الرفض تلبية لطلبك منه و ليس أملا في نتيجة إيجابية ما دام يصر على التشاؤم.

حسناء: وإن لم يتخل عن الرفض تشاؤما أتخل عنه متفائلة بقرب الفرج لي ولكم.

سهيل: لن أوافقك على هذا الموقف وإنما على موقف معرفة النتيجة بالطب يجده عقبة معضلة معك تحل بالتحاليل فيقررها.

حسناء: وإن لم يقرر أقرر لأنني ضقت ذرعا بآرائه المتشائمة التي صورت لي الوجود شراً مثلما يتوهم به وإني أجسده بأجنة مشوهة في هذه الدار غير إنني استيقظت من غفلتي مستخفة بأفكاره التافهة التي درسها لي، مثلما يفعل في الثانوية وهو لا يدري بأن بصيص الأمل حالما يدب في النفس يحل الفرج بالطب ولو يكون نفعه ضئيلا لكنه لا بد منه.

سهيل: إن استعدادنا علي القدوة بالطب يعد أملا وفرجا للأزمة قبل معرفة نتيجتها.

حسناء: ثق بأن الفرج لنا جميعا قد أصبح قاب قوسين أو أدنى بشر فاضلة عند عودتك إلى بيتك بهذا الخبر فتستحسنه مثلك إنها طالما حثتني على القدوة بالطب.

سهيل: بل بشريها عن قدومها بعد ساعة بينما أنا أبشر منصور بقرارك في مكتبه إن لم يكن في مرافعة في المحكمة ثم أستعين به على زحزحة عقبة عن الرفض وإني متأكد بأننا نفلح معه في هذه المرة بعدما يبين له منصور تقصيره في حق من حقوقك الزوجية عليه يؤكده القانون لو تطلبينه منه يؤديه لك وإن لم يفعل يعد نفسه مقصرا في حقوقك عليه.

حسناء: سأطلبه منه اليوم ولن أظل صامتة خاضعة له مثل سابق عهدي وإن لم يستجب لي أطلب منه الانفصال وأستعين أنا كذلك بمنصور وأظن أنه يكون له رأي في أحد المطلبين قانونياً.

سهيل: بل يكون له رأي واحد في حق من حقوقك الزوجية في العلاج قانونيا ولأقصده حالا ما دمت قد تخلصت من الوهم أدى بك إلى مواجهة عقبة بالأمر الواقع.

(يخرج من الباب الخارجي).

زكية: إنك ما برحت تذكرين الانفصال عن عقبة بغير سبب وجيه خلا سبب رفض تلبية طلبك منه وإني لا أراه سبباً مقنعا يؤدي بك إلى ما عزمت عليه.

حسناء: إن تريه سبباً هينا في نظرك فإنه سبب مقنع عندي تتمثل قناعتي به في معرفة مصيري إما بالإنجاب مني أو من غيري لك.

زكية: إني متفائلة بأنه يكون منك لي.

حسناء: إن أمنيتي أشد من أمنيتك في رغبة الإنجاب ما دامت لم تتحقق لي مثلك لكن إذا نسف القدر أمانينا في هذه الدار أعدك بألا أكون حاجزاً في تزويج ابنك، وإني واثقة بأنك لا تترددين لحظة في عرض زوجة ثانية عليه بمجرد معرفة استحالة الإنجاب القويم مني بعدما يقره الطب.

زكية: أعلن عليك صراحة أنني أزوجه ثانية إذا طلبه مني لكن أغلب ظني لا يتخذ لك ضرة و لن أدفعه إليها لأنني أفضل أن تظلي معه ولو بغير أولاد طول حياته، حسبي سبعة أحفاد من أخويه يقدرونني على الصبر لأن الأمور تكون منك قضاء وقدراً.

حسناء: نعم تكون قضاء وقدرا لكن علي وحدي ولذا رأيت انفصالي عن ابنك حتما مقضيا علي أمكنكم به من التخلص من محنتكم معي فأكون قد أديت خدمة جليلة بحلول الفرج لي ولكم.

زكية: حسناء ما زال المستقبل غامضا عندنا فلا تتخذي له قرارا حتى يتضح لنا بعزمك على حث عقبة على التحاليل وبإلحاح، فيستغرب موقفك منها بناء على سابق عهده بك ثم يسألك عن مصدر التغير المفاجئ له منك فقولي له: لقد صورت لي الوجود مرا حسب آرائك الفلسفية لكنني راجعت نفسي ثم فكرت مثلك فوجدته حلواً مخالفا لآرائك تمثل لي في قدرة الطب على إصلاح الأرحام وتسكين الآلام.

حسناء: أحاول أن أخاطبه بالتي هي أحسن موضحة له بأنه لا دافع لنا إلى توقع سوء العاقبة بناء على تشوه الأجنة التي اتخذ منها أفكاره التشاؤمية ما دام الطب لم يقر بها.

(تدخل فاضلة من الباب الخارجي).

فاضلة: عما مساء كيف أنت حسناء؟

حسناء: إني بخير بعدما تعافيت ولا داعي للقلق علي قلت لك البارحة: إني أشعر بالشفاء.

فاضلة: تبدين لي اليوم أحسن من البارحة لكن هل هو شعور بالعافية أو تظاهر بها فقط ؟

حسناء: إنه شعور بها وليس تظاهرا.

زكية: إنها في صحة جيدة اليوم كأنها كانت على موعد لها وبالإضافة إلى عافيتها هو نبذ تشاؤمها السابق في التحاليل فاستعدت على حث عقبة عليها لأنها أدركت وجوب إقامتها بغير هاجس شائن كانت تخشاه سابقا.

فاضلة: لقد تأخرت يا حسناء في نبذ التشاؤم منها ولولا عقبة لوافقت عليها منذ مدة طويلة حسب آرائنا فيها ولم تظلي ممتنعة عنها إلى اليوم لكن مهما يكن موقفك المتشائم منها سابقا بتأثير من زوجك فقد آل إلى التفاؤل بعد الشدة.

زكية: حديثها كثيرا يا فاضلة عن مزايا الطب وفضائله مثلما حدثك سهيل عنها تزدد تفاؤلا به إني أراها اليوم تستخف بأفكار زوجها التافهة بعد ما أدركت تفاهتها، لكما متسع من الوقت للمناقشة لأنني أقوم بشغلها بدلا عنها للمزيد من راحتها ومهمتها في حث عقبة على التحاليل.

(تذهب من باب الممر).

فاضلة: حسناء إني لا أنكر فضائل الزوجة في طاعة زوجها واستشارته في الأمور المهمة لكن حالما يتعلق الأمر بمصيرها يكون لها رأي ولو مخالفا لرأيه.

حسناء: لقد كان لي رأي في وجوب التحاليل منذ مدة ولا سيما بعد الإجهاض الثاني لي لكن عندما رفضها عقبة جعلني أخضع له الخضوع التام خشية

من أن يتحقق تشاؤمه وليس تفاؤلكم، فهنالك لا أجني من سلبية النتيجة إلا الانفصال عنه جزاء لمطلبي بها

فاضلة: إن مطلبك بها لا يعد إثارة للمشاكل لأنها حق شرعي لك ينفذه الزوج ولا يعده من ضمن المشاكل الزوجية المؤدية أحيانا إلى الانفصال.

حسناء: لكنه رفض التحاليل وأصر على الرفض فإذا طالبته بها يرفض طلبي وإن ألح عليها يعد إلحاحي سوء تفاهم بيننا أو معضلة على حد تعبيره يحلها بالانفصال لأنه مقتنع بأن المعضلة تحل بأخرى فيكون الانفصال، فاضلة إن ظروف حياتي الماضية في كفالة أخوالي بعدما توفت أمي وأنا في الخامسة من عمري جعلتني أختار موقف الخضوع دوما تفاديا لسوء العاقبة إذا كان لي فيها موقف.

فاضلة: هناك خضوع واجب عليك لأوامر ورغبات الزوج لكن ليس في كبت رأيك عن معرفة مصيرك لأنه غاية يكون لك فيه موقف.

حسناء: أجل وإني لا أنكر موقف الزوجة في مصيرها لكنني لست من الزوجات اللاتي يتخذن مواقف في مصير حياتهن متى يتطلب الأمر إلى ذلك لأنني لا سند لي من الأب أو الأم حالما تصل الأمور إلى الشدة إني لست مثلك يساندك أبوك وأمك في تقرير مصيرك.

فاضلة: وبالرغم من أنك يتيمة الأم وأبوك مفقود منذ صغرك تدلين بموقفك ونساندك فيه بل نشجعك على طلب التحاليل بإلحاح.

حسناء: وإذا رفضها تتخلون عني وتتركونني في مواجهته وحدي وإن ألح على التحاليل يعده سوء تفاهم ولعله لا يستجيب لي وإن يفعل يبيت قرار الانفصال إذا كانت نتيجتها سلبية.

فاضلة: ولو تكون سلبية لا يعد إلحاحك عليها سوء تفاهم وإنما حق من حقوقك الزوجية لا جزاء شائن لك من سلبيتها ولو بعد إلحاح.

حسناء: قد يعد إلحاحي عليها سوء التفاهم ما دام قد أعلن الرفض جهارا وأصر عليه كلما ناقشه سهيل فيها وهو طبيب وأخوه وأكبر منه سنا ومن خلال عدم تلبية الطلب لزوجك، اقتنعت بأن طلبي بها بإلحاح يعد سوء تفاهم يزعزع العش الزوجي، الهادئ فيطير عني إلى زوجة ثانية ثم أعود إلى بيت أخوالي فأعيش مذلة مثلما كنت خلال حياتي الماضية.

فاضلة: إنك بعيدة كل البعد في تقدير الأمور.

حسناء: لكل واحدة منا وجهة نظرها في تقدير أمور حياتها لأن كل واحدة منا تنطلق من خلال حياتها الماضية، فاضلة إن الفتاة إذا فقدت أبويها معا تضيع أو تعيش مذلة مهانة في الكفالة لا تحتج على الأوامر ولو ترى فيها إجحافا لها.

فاضلة: أعلم أنك عشت حياة صعبة في كفالة أخوالك لكنك وجدت الأحسن منها بزواجك من عقبة فارتاح بالك به غير أن الأحسن الذي وجدته في الزواج وحافظت على استمراره بالخضوع التام قد تعثر ولا بد لك من إقالة العثرة ولا أراها إلا في طلب التحاليل ونساندك فيه، وأظن أنه يلبي مطلبك عندما يتأكد بأنه عزيمة منك ولا يعده سوء تفاهم بينما خشيتك من الانفصال الذي ما برحت تذكرينه إنه غير وارد على الإطلاق بأي نتيجة تكون التحاليل، لأنها لم تكن بإرادتك لا جزاء شائن لك منه إذن إستمري في عزمك على الطلب منه ولا تظلي خاضعة صامتة للأمر الواقع.

حسناء: إني فكرت كثيراً فاستخلصت أنه لا بد من الطلب منه بالرغم من إنني أعلم أنه رافض التحاليل بحجة توقع نتيجة سلبية.

فاضلة: بل هو متشاؤم منها أدى به إلى التردد في معرفة النتيجة وليس رافضا لها لكن إلحاحك عليه يدفعه إلى تقرير التحاليل ليس تفاؤلا منه وإنما رغبة به في تلبية حق زوجته عليه، ولا يعده سوء تفاهم وباستجابته لك ينهي النزاع فيها إلى الأبد.

حسناء: بل أنا التي قررت إنهاء النزاع في هذه الدار بطلب الانفصال إذا رفض قرار التحاليل بعد إلحاحي عليها وإني أعلم أن رفضه و إلحاحي يؤديان إلى الانفصال.

فاضلة: لا أوافقك على طلب الانفصال لأنني أراه أخرق لا يؤدي إلى نتيجة ولو لم يستجب لك.

حسناء: بل أراه يؤدي إلى نتيجة واضحة إما التحاليل وإما الانفصال اللذين كنت أخشاهما سابقا معا، لكنني اليوم قد تشجعت عليهما معا لأتخلص من شقوتي التي أصبحت أشد قسوة من انفصالي عن زوجي.

فاضلة: سيكون انفصالك عنه سيئاً عليك.

حسناء: أعلم أنه يكون سيئا علي غير أنه يكون لي أحسن من شعوري بالشقاء دوما «وفي بعض الشر خيار» فاضلة إنك لا تدرين بمدى شعوري بالهم الجاثم على قلبي كأنه جبل.

فاضلة: إنه لا يبدو عليك حسب رأيي.

حسناء: تعتقدين بأنني غير منحوسة لكن برجوعي إلى أن أذكرك في حياتي الماضية منذ وفاة أمي وأنا في السنة الخامسة، وفقد أبي قبلها بسنة واحدة تتجسد لك شقوتي في الأعمال الكثيرة عند أخوالي دون احتجاج مني لأنه لا يليق بي ما دمت عالة عليهم.

فاضلة: أعلم أنك كنت في كفالة أخوالك بعدما فقد أبوك وتوفت أمك فاتخذوك كأنك خادم، لكن الماضي انتهى ولا داعي للتفكير فيه لكيلا يبعث في نفسك الشعور بالهم وإنما تناسيه بالتفكير في مستقبل زاهر.

حسناء: ظننت أنه يكون لي بزواجي من عقبة فأسعد به فإذا بي أعاني من تتالي الإجهاضات وتذمر الخالة زكية منها ولا أكون مخطئة إذا توقعت عرض ضرة على ابنها، بعد نفاد صبرها وحسب علمي لا يوافق عليها فأظل السبب في استمرار النزاع ولا خلاص لي منه إلا بالانفصال حتما مقضيا علي فينقشع عن قلبي الهم بما يؤول إليه مصيري.

فاضلة: وإني أرى تخفيف همومك بالطب عسى أن يحدد لك مصيراً زاهراً وإني متفائلة به فينسيك صدمات الإجهاض، مثلما أنساك زواجك بعقبة ظروف صغرك الصعبة إذن لا رأي لك يكون صائبا إلا بوجوب التحاليل عليك وعليه.

(تدخل هند من الباب الخارجي).

هند: عما صباحا كيف أنت حسناء؟

حسناء: على أحسن ما يرام ما دمت قررت الوصول إلى نتيجة إما من الطب أو من القانون وأظن أن زوجك يكون له رأي في طلب انفصالي عن عقبة إذا ما رفض إقامة التحاليل.

هند: تطلبين الانفصال عن زوجك إذا رفض التحاليل.

حسناء: أجل ولا شيء غيره لأن الأمور تتضح في البحث عن زوجة ثانية لا يسمح لها المكان حتى تزيح الأولى عنه وأظن أن منصور قد رافع في مثل هذه الظروف.

هند: دعي عنك هذا التفكير لأن زوجي لا يدلي لك برأي حفاظا على هدوء العائلة وفضلا عن هذا يدري بأفكار عقبة وموقف رفض الضرة لك وكل ما يملل عليه.

حسناء: هند إنك تعتقدين مثلي بأن أصعب عقبة تواجه الزوجة هي خلو حياتها من الإنجاب ولا أمل لها في اجتيازها حتى تخضع لقبول ضرة صاغرة إن لم يكن مصيرها الطلاق، ولذا رأيت نفسي في أحد الموقفين لا ثالث لهما وقد يكون الطلاق لأن الضرة مرفوضة عند عقبة وخلو حياته من حفيد مرفوض عند الخالة زكية فيظل النزاع قائما بينهما وأكون سببا في استمراره ولا يهدأ إلا بانفصالي عنه.

هند: إني أخالفك الرأي باستمرار ولا حافز إلى ذكر الانفصال ما دامت الأمور لم تتضح بعد و عسى أن تكون حسنة من الطب إذن لا بد منه.

فاضلة: إننا كلنا نعلق أملنا عليه لكن حسناء ما برحت تتشاءم من النتيجة متأثرة بأفكار زوجها وما كان عزمها على التحاليل تفاؤلا في نتيجة إيجابية ، وإنما رغبة في إنهاء النزاع بالانفصال بعد ما يُرفض طلبها مثلما رُفض لنا.

حسناء: إن يخيب مطلبي منه فلن أخيب رغبة الخالة زكية في حفيد منه وحسب أغلب طني لا يستجيب لي فأعلن عليه أنني أصبحت أشعر بشقوة ولا مفر لي منها إلا بتلبية طلب التحاليل أو الانفصال، فأكون قد وضعته في معضلة يحلها بالانفصال بالرغم من أنه يراه معضلة لكنه يطبقه بناء على اقتناعه في أن المعضلة تحل بأخرى.

فاضلة: وإني أرى أنه يلبي طلبك منه لأنه حق زوجي عليه فيقرر التحاليل ولا يعد مطلبك معضلة.

(تدخل مريم من باب الممر).

ها هي الخالة مريم لا تحبذ طلب انفصالك عن عقبة ولو لم يستجب لك مثلنا.

مريم: إني دوما أحث على معالجة أمورنا بالدين ونجعله غايتنا تستقيم به هذه الدار إذا ما أصابها تصدع ولذا أقترح على حسناء أن تزور إماما من أجل تعويذة أملا في نتيجة حسنة، بل ربما تكون كافية فيستقيم عندها الإيلاد بفضلها فنتخلص من فاجعة الإجهاض في المرة القادمة، كم من مرة أنقذ الدين بيوتا كانت على وشك الانهيار.

فاضلة: إني لا أخالف رأي الخالة في تعويذة عند إمام من أجل بعث الأمل في نفسها فقط لأن ميدان الدين يظل في تسكين النفوس، بينما يكون مجال الطب في إصلاح الأجساد ومنها خلل الإنجاب.

مريم: وما تقولين يا فاضلة في زوجة ظلت ترغب في الإيلاد ثلاث سنين ولم يتحقق لها حتى قامت بتعويذة عند إمام فاستقام حالها بالدين.

فاضلة: قد يكون ظرف هذه الزوجة خللا مؤقتا لكنه استقام تلقائيا بغير علاج ولا فضل للتعويذة في إيلادها.

مريم: إني لا أوافقك على ادعاء استقامة الإنجاب فيها تلقائيا بغير فضل التعويذة بدليل إرقاء بعض الناس مريضهم فيتعافى من مرضه بعدما عجز الطب عن شفائه بالأدوية.

فاضلة: لقد خبرت عن مثل هذه الحالات التي يدعي فيها المريض بالشفاء بعد الإرقاء لكن مرضه يكون وسواسا فيه خلصته الرقية منه فيشعر بالشفاء ولو أنه كان يشتكي من شعوره بمرض جسدي فيه.

هند: إن غرضنا من حسناء هو أن ندفعها إلى حل الأمور الغامضة فيها بالطب ولتكن بتعويذة أولا تيمنا في نتيجة إيجابية من الطب لاحقا.

حسناء: إنـي الآن لا أمتنـع عن التعويـذة ثـم الطـب لاحقـا غيـر أن عقبـة يـرفض التحاليل ويستخف بالتعويذة ليصر على تشاؤمه حسب عهدنا بـه، وهنالك أعلـن عليـه صـراحة أنني عزمـت علـى معرفـة مصـيري بالطـب أو الانفصال.

هند: قولي لي: من فضلك لماذا أصررت على طلب الانفصال إذا ما رفض لك إقامة التحاليل؟

حسناء: إني أصررت عليه لأني رأيته الحل الموفق للجميع يهدأ به النزاع وإنـي واثقة بأن عقبة يوافق عليه تواً ليبرهن لنا عن أفكاره في أن المعضلة تحل بأخرى.

هند: أو تظنين أنه يوافق عليه تواً ولا يتردد؟

حسناء: قد يوافـق عليـه تـواً ولـو أنـه يتخـذه معضـلة لكنهـا تحـل معضـلة الإجهاض، وبالإضافة إلـى هـذا إنـه لـيس مـن الـذين يهـدفون بـالزواج للإنجاب ويرونه لا بد منه ولو بضرة أو الطلاق مكرها عليه.

هند: وبالرغم من قلة شأن الإنجاب في نفسه أتوقع أنه يعارض طلب انفصالك عنه لأنه يراه بغير سبب حالما يبطله بقرار التحاليل.

فاضلة: وبقراره يقع الفرج لنا جميعا.

(يدخل عقبة من الباب الخارجي).

مريم: تفاءلي حسناء واجعلي الدين قدوتك تصلي إلي بر النجاة.

(تذهب من باب الممر).

عقبة: إنكما ما برحتما تزوران حسناء أول النهار بالرغم من شغلكما في البيت إن هذا الموقف منكما أعده فضلا علي لأنني أصبحت أهتم بصحتها كثيرا متمنيا عودة عافيتها التامة إليها.

فاضلة: إنها متعافية من المرض ولا ينقصها إلا راحة بالها اليوم.

عقبة: أعلم أن موقفها يتطلب راحة بالها لكنها ستعود إليها بمرور الوقت ومهما تكن حالتها النفسية رديئة فإنها تتحسن تدريجيا.

فاضلة: وأي شيء تراه يعجل بتحسن حالتها النفسية؟.

عقبة: هو أن تعتقد بأن إجهاضها لأجنة بشعة لم يكن تقصيرا منها وإنما خلل بيولوجي بسبب قاهر لا طاقة لها به فتبرر ضميرها من الفعل السلبي يشعرها بنسمة تريح بالها.

فاضلة: لكن راحة بالها التي تتوقع عودتها إليها بتبرئة ضميرها قد تتعثر مرة رابعة ما دامت الأمور فيها مبهمة وإنك لا تنكر هذا.

عقبة: ثقي يا فاضلة بأنني عزمت على إيقاف حسناء عن الإنجاب إلى آخر عمرها وأراه الحل المثالي وخلاصنا لما لا طاقة لنا به ما دام الخلل البيولوجي لم يستقم للمرة الثالثة تدلنا على أنه لن يستقيم أبداً.

فاضلة: أو تظن أن عزمك على إيقافها عن الإنجاب إلى آخر عمرها يعد حلاً للأزمة؟

عقبة: إني أعلم أنه ليس حلا للأزمة لكنه انفراج لها لأنها لن تتكرر ما دام أبطل سببها.

فاضلة: إنك تراه انفراجا للأزمة ببطلان سببها لكنه يعد عندي رفضا لإقامة التحاليل عليها وقد تأتي لنا بالفرج الدائم وليس المؤقت، وإن حسناء قد أصبحت تأمله من الطب بعدما ذاقت مرارة الصدمة ثلاثاً.

عقبة: إنها مثلي تخشى من سوء العاقبة بعد التحاليل ولولا خشيتنا منها لأقدمنا عليها هادئ البال.

فاضلة: لقد كانت تخشى منها سابقا لكن اليوم تشجعت عليها برباطة جأش لمعرفة نتيجتها آملة منها حسن العاقبة أسألها تجدها آملة هيا هند نمنحه فرصة الانفراد بزوجته عسى أن تقنعه بتغيير رأيه القاتم منها بعدما تحثه على التحاليل وهي آملة إيجابيتها مثلما نأمل نحن جميعا.

عقبة: إن نتيجة الأمور لا تكون دوما حسب رغباتنا وإنما تكون متأرجحة بين الأسوإ غالبا وطويل الأمد والحسن نادرا وقصير الأجل فتعد النفوس المفعمة بالتفاؤل من سفاهة الآراء.

هند: وبالرغم من تعليلك حسب أرائك الفلسفية المتشائمة لا يعد رفض معرفة النتيجة حجة دامغة نتشبث بها دوما، هيا فاضلة لقد أدينا واجب العيادة ولا داعي لمناقشته في أمر يصر على رفضه وهو لا يدري بأنه يسيء به إلى زوجته بتقصيره في حق من حقوقها الزوجية في العلاج لا ينكره أي أحد.

(تخرجان من الباب الخارجي).

عقبة: من خلال كلام فاضلة وهند الذي بدا لي احتجاجا على مواقفي من التحاليل أجزم بأن حديثكن قد كان فيها آنفا.

حسناء: لقد أصبحتا تريان موقفك من التحاليل أمرا غريباً بعد الإجهاض الثالث لي وهما الآن لا تريدان الاستمرار في مناقشتك فيها وإنما ترغبان في أن تلبي رغبتهما بل رغبة كل العائلة وليس سهيل وحده.

عقبة: إني استمعت إليهم جميعا بما فيه الكفاية ولم يقنعوني بالمناقشة لأني أتوقع سوء العاقبة بالنظر إلى الأجنة الضعيفة التي كانت في أسفل

سافلين ولم تكن تامة الخلق فلا يرجى منها تقويما دفعتني إلى تفضيل الامتناع عن إقامة التحاليل لأنها تكون عبثا لم يدركه الجميع مثلي.

حسناء: لكن سهيل طبيب يدري بفضل الطب على البشرية أكثر منا جميعا وقد حثك عليها مرارا رافضا امتناعك عنها لأنه يرى رأيك فيها مؤسسا على تشاؤم وليس على يقين.

عقبة: إني أدركت موقف سهيل من حثه لي على التحاليل وهو يعلم أن الأجنة غير قويمة وبصفته طبيبا يعلم أن تكوين الجنين بالصفة الضعيفة ناتج من خلل بيولوجي، منذ التكوين الأول له لا أمل في تقويمه بالطب لكنه يصر على معرفة سبب الخلل ليزداد علما بالطب.

حسناء: أظن أنه يأمل في تقويمه بالعلاج وليس قصده معرفة سبب الخلل ليزداد علما بدليل حثه لك على التحاليل باستمرار.

عقبة: هذا ما يخيل إليك لكن بالنظر إلى كونه طبيبا أجزم بأنه شبه متأكد من سلبية النتيجة لكنه يصر على معرفتها للعلم فقط.

حسناء: فرضا أن النتيجة تكون سلبية حسب تشاؤمك الذي استنبطته من بشاعة الأجنة لكن معرفتك بها من الطب تجعلك مقتنعا بأفكارك يقينا وليس تخمينا فيقتنع الجميع بها معك.

عقبة: إنه لا يهمني اقتناعهم بأفكاري وإنما اقتناعك بها لا غير ما دام الأمر بيني وبينك وإننا سيان بغير أولاد ولن أسعى إليهم بأخرى.

حسناء: أقول لك يا عقبة بصراحة أنّي تخليت عن موقفي السابق منها بعد الإجهاض الثالث لي فأصبحت أرغب في إقامة التحاليل فإذا كانت إيجابية حسب ظن غيرك يتبدد النزاع في هذه الدار، وإذا كانت سلبية حسب

ظنكِ يتمدد فيها وأراه في حث أمك لك على اتخاذ ضرة لي وإني لا أنبس بكلمة لأنني أكون غير قادرة على الإنجاب القويم حالما يتأكد لنا.

عقبة: سأرفض لها هذا الطلب بغير مناقشة.

حسناء: لكنها لا تكف عن الطلب منك حتى تحققه لها وبما أنك عزمت على الرفض إذن يظل النزاع قائما بينكما ولا حل له إلا بالضرة أو بانفصالك عني للزواج ثانية.

عقبة: كوني كلك يقينا بأنني لن أتخذ لك ضرة و لن أنفصل عنك للزواج ثانية.

حسناء: وما يكون موقفك من إصرار أمك على الإنجاب من غيري بعد نفاد صبرها ويأسها مني.

عقبة: الرفض دوما وأبرر موقفي بأنني رجل فكر لا يتخذ ضرة للأولى ولا ينفصل عنها من أجل الإنجاب بالثانية ما لم يحدث سوء تفاهم بيني وبينك، وفضلا عن هذا إن أمي قد أدعت بأنها لا تدفعني إلى أن أتخذ لك ضرة ولو أظل بغير أولاد وإذا عدلت عن ادعائها بعد أن تيأس الإنجاب منك يكون الرفض مني دوما.

حسناء: إنه غير موفق موقفك هذا لأنه لا يبدد النزاع ولذا أريد منك أن تلبي رغبتي ورغبتهم في إقامة التحاليل علينا لأنني أصبحت مدفوعة إلى التفاؤل بها.

عقبة: أصبحت مدفوعة مثلهم إلى التفاؤل بنتيجة إيجابية يا للوهم !!

حسناء: بل أصبحت مدفوعة من معاناتي إلى نتيجة تحدد مصيري فإذا كانت إيجابية من الطب يعم الهدوء بيننا وإذا كانت سلبية أتهيأ لفض النزاع بانفصالي عنك.

عقبة: ثقي بأنني أفض النزاع مع الجميع بدلا عنك بمغادرتنا إلى مسكن آخر إلى آخر عمرنا وأعده مصيرنا قد حدد وإذا شئت ابدأ البحث عن مكانه منذ غد.

حسناء: ألا تعد موقفك هذا معضلة حللت بها معضلة النزاع مع أمك بهروبك منها؟

عقبة: أجل أعده معضلة لكنها تحل النزاع في التحاليل ثم مطالبة أمي لي بالضرة إذا فعلت إني قلت لك: مرارا وتكرارا إن المعضلة تحل بمعضلة أخرى في هذا الوجود ولا أنكر أن تكون أحيانا أخف من سالفتها.

حسناء: عقبة إني عزمت على معرفة مصيري وهو أملي إما من التحاليل وإذا رفضتها اجعل لي أملا لأتخلص من شعوري بالشقاء وإني لا أراه إلا انفصال بعضنا عن بعض، يتحقق به زواجك ثانية والحفيد لأمك فارتاح من شقائي لأنني وجدت سبيل الانفراج لأزمتنا.

عقبة: ثقي بأن انفصال بعضنا عن بعض لا يعد انفراجا للأزمة وإنما تمكين أمي بحجة في مطالبتها لي بإعادة الزواج ثانية ولن أفعل بحجة لا أجبر رغبة بقائي معك بأخرى، فيظل النزاع قائما بيني وبينها ناهيك عن مصيرك المجهول بعد الانفصال فتكون قد حللنا معضلة بمعضلة أخرى.

حسناء: لكن أفكارك كلها تصب في هذا الموقف.

عقبة: أجل لكن تكون المعضلة التي تعقب سالفتها أخف منها ولذا أرى حل معضلة الضرة بالسكن المستقل عن أمي وهو أخف عندي من الضرة، ورأيت حل الأجنة البشعة بإيقاف الإنجاب وهو أخف من فاجعة

إجهاضها، بينما يكون انفصال بعضنا عن بعض أشد قسوة لي ولك من السكن المستقل.

حسناء: وإني أرى معك حل الأزمة بالانفصال بالرغم من أنك تراه أشد قسوة من فض النزاع بسكن مستقل عن أمك.

عقبة: إنه اشد قسوة وإنك لا تخالفيني في شعورك بقسوته.

حسناء: بالرغم من أنني لا أخالفك الرأي في شعوري بقسوته مثلك غير أنني مدفوعة إليه ليخفف عني شعوري بالشقاء إذا جاءت التحاليل سلبية ما زلت ترفض معرفتها يقينا من الطب.

عقبة: إني رفضت معرفتها يقينا من الطب لأن أفكاري تتوقع سوء عاقبتها متى تتأكد لنا يقينا مهزلة مجهوداتنا فدفعتني إلى الامتناع عن إقامة التحاليل لأنها تكون قبض ريح.

حسناء: ومن أدراك بأنها تكون سلبية وليست حسنة؟

عقبة: إني قلت لك: وكررت إن الأجنة القبيحة هي فأل سوء العاقبة.

حسناء: قرر قرر موعدا للتحاليل ولو أنك تتوقع سوء العاقبة لكنها تصبح حجة لي في طلب انفصالي عنك لأن الأمور تتضح لنا في استحالة الإنجاب القويم بيننا بعدما يثبته الطب فيقرر وقف الإنجاب.

عقبة: إني قررته قبل أن يقرره الطب العلم.

حسناء: لكن قرار الطب يكون على يقين وليس تخمينا مثلك، وإني لا أوافقك عليه حتى تتضح الأمور المبهمة عندنا وإنك الآن بين خيارين لا ثالث لهما إما قرار التحاليل وإما قرار الانفصال.

عقبة: حسناء حسناء إنك وضعت نفسك بين اختيارين مرين أولهما يكون فاجعة على نفسك بسبب خلل بيولوجي ميؤوس من شفائه.

حسناء: سأتجلد لها بالصبر حتى تخف على نفسي.

عقبة: قد تكون المأساة شديدة لا ينفع لها الصبر فتظلين تعانين من شدتها إلى آخر حياتك ولن أكون ناجيا منها وإنما سيان بها.

حسناء: فلنكن معا إذا تحققت المأساة بسبب خلل التكوين في أجسادنا ميؤوس من تقويمه.

عقبة: ستكون به لكنك لم تدركيه.

حسناء: مكنني من إدراكه بالتحاليل ما دمت تزعم بأن الفاجعة قادمة.

عقبة: بل إني متوقعها وليست وهما مني بالنظر إلى إجهاض أجنة قبيحة المنظر وما يكون في نفسها أقبح.

حسناء: برهن على أفكارك أثبتها بالحجة الدامغة الملموسة المرئية.

عقبة: ستكون من الطب العلم.

حسناء: فلتكن منه وبكل الأحوال سأقتنع بها وهنالك أسلم معك خاضعة لرأيك في وقف الإنجاب وأعده خلاصنا.

عقبة: أو لست مقتنعة بأنه خلاصنا لا يتكرر به الإجهاض بعد ثلاثة منك؟

حسناء: بلى، بلى ولذا ما زلت مطالبتك بالتحاليل وبنتيجتها تجعلني مقتنعة مثلك ومتأثرة بأفكارك في أن وقف الإنجاب يخلصنا من الفاجعة في هذه الدار.

عقبة: بما أنك قد طالبتني بالبرهان والحجة الدامغة لإثبات أفكاري لك إذن ألبي مطلبك في إقامة التحاليل بعدما كنت مفضل الامتناع عنها توقعا في سلبيتها لكن حالما أصبحت النتائج من الطب حجتي الدامغة لك ترينها

رؤية العين، وقد طالبت بها وألححت في الطلب متأثرة بمحيطك من النسوة حتى رأيتها انفراجا للأزمة وإني لا أؤيدك الرأي، لكنني أقررها غدا لأنها أصبحت واجبة علي وهي حق شرعي لك وقد ذكرته هند آنفا وأتهمتني بالتقصير فيه وبما أنك طلبته لأول مرة مخالفة سابق عهدي بك أنفذه، لكيلا أكون مقصرا في حقوقك الزوجية علي وأتفادى طلب انفصالك عني ببطلان سببه وإن لم أفعل أكنْ بين معضلتين إما التحاليل وإما الموافقة على الانفصال، وبما أنني أختار دوما الحل الأخف بين المعضلتين ولا يكون حسب رأيي إلا قرار التحاليل التي فضلت الامتناع عنها عدة مرات ليس عنادا مني مثلما يظن سهيل أو تقصيرا في حقوقك الزوجية مثلما تظن هند، وإنما رأيت فعلها عبثا قبض ريح وهما اللهم إلا إذا شاء الله إصلاح سبب خلل التكوين الذي جاء لنا بأجنة في أسفل سافلين بالعلم الكامل، بينما يكون العلم البشري الناقص عاجزا عن إصلاحه لا تدركه الأغلبية لأنها مدفوعة بالتفاؤل إلى تحقيق الوهم.

حسناء: قد يكون تفاؤل الأغلبية حقيقة وليس وهما مثلما تظن.

عقبة: بل وهما بالنظر إلى الذي جاء منك ومني ولن يتحقق الوهم وهنالك تبرز لنا قضية الضرة ولا حل لها إلا بالسكن المستقل عن هذا.

حسناء: سأحثك عل اتخاذها لي بل بانفصالي عنك لا تعدها ضرة وإنما زوجة ثانية لا ترفض الاقتران بها.

عقبة: أو تنفصلين عني إذا أثبتت أفكاري بالطب فتري الخلل حقا.

حسناء: نعم ما دمت ترفض الضرة حتى تزاح أولاهما عن مكانها هكذا يشاء القدر.

عقبة: إذن استعدي على مشيئته واقتنعي بأن المشكلة تحل بمشكلة أخرى هكذا شاء القدر.

حسناء: سأعدها مصيري.

عقبة: وهنالك لا قبل لك بالتفاؤل في الإنجاب القويم لم تدركيه حتى تصطدمي بمهزلة إلحاحك على التحاليل دفعتك الأغلبية إلى طلبها، وسأنفذ طلبك ولن أتراجع عنه مهما يكلفني الأمر مالا ووقتا وأخيرا مصيرنا وليس مصيرك وحدك وثقي بأنه يكون قاتما لم يدركه إلا المتوسم في الحياة.

ينزل الستار على

الفصل الأول

ـــــ ستـــار ـــــ

❀ ❀ ❀

الفصل الثاني

المنظر

البهو نفسه بعد أسبوع تكون فيه زكية ومريم وهما واقفتان.

المشهد الأول

- زكية ومريم- فترة ينطلق الحوار-

مريم: يا سيدة زكية ألا يكون في استطاعة عقبة أن يأخذ الغسالة إلى مصلح لقد مر على تعطيلها أسبوع.

زكية: سأكمله في هذا الأمر بعدما تعذر علينا إصلاحها بسبب اهتمامنا بالتحاليل وأظنها تكون جاهزة اليوم حسب الموعد الذي حدد لصدورها.

مريم: لا ضير في أن أنتظر إصلاحها ما دام الأمر لم يكن إهمالا لها بعدما أخبرتك عن تعطيلها.

زكية: ثقي بأنني اهتممت بتعطيلها لكنني تعمدت ألا أطلع عقبة عليها حتى يتسلم نتائج التحاليل من العيادة اليوم، ولعله يقصدها بعد خروجه من الثانوية ومهما تكن النتائج فإنها تنبأ عن مصير هذه الدار.

مريم: كم رغبت في أن تكون النتائج إيجابية لترتاح حسناء من معاناتها غير أنني كنت أفضل لو تيمنت بتعويذة عند ولي صالح للفرج لها.

زكية: لقد عرضت على عقبة أن يقدم صدقات للفقراء أثناء التحاليل تيمنا في حسن النتيجة لكنه استخف بالفعل وعده من التفاهات.

مريم: إن الإحسان إلى الفقراء فعل زكي يحث عليه الدين وإن لم يكن مقدسا عنده فأي شيء يقدس بعدئذ؟

زكية: إنه يقدس أفكاره التي لم تطمن قلبه بمزايا الدين وفضل الطب على البشرية بيد أنه قرر التحاليل نزولا عند طلب زوجته بعدما طالبته به لأول مرة لكيلا يكون مقصرا في حق من حقوقها الزوجية، فجعلته يتخلى عن الرفض ويقررها قائلا لي: إني شبه متأكد من أن ما ألزمتموني عليه يكون هباء منثورا يدلني على توقعه مسبقا ضعف الأجنة بسبب خلل جسدي لا حل له إلا بوقف الإنجاب.

مريم: لو كانت نفسه مفعمة بالإيمان لما توقع عبث أفعاله وإنما قدرة الطب على العلاج وإصلاح الأرحام وإنهما هدفنا لا نفرط فيهما ولو برقية.

زكية: له أفكاره في الحياة والمستقبل لكن إن لم يتحقق أملنا من الطب أضطر إلى تزويجه بعد انفصال حسناء عنه ولن يظل بغير زوجة ليس حبا في مزيد من الأحفاد ما دام لي سبعة من أخويه، وإنما ضرورة له في ألا يخالف سنة الحياة وفضلا عن هذا يرفع عني القيام بشؤونه المنزلية متى يجد زوجة تؤديها له وإذا مرض يجدها بجانبه حسبي طول عزوبته خلافا لأخويه.

مريم: أناشدك بألا تظهري أدنى صدودا عن حسناء إذا قدر عليها عدم الإنجاب القويم لأنه يكون قضاء وقدرا تستسلم له على أمل استمرار زواجها بعد أن تعدل عن قطعه، لأن أخوالها لا يرحبون بعودتها إليهم ولذا أترجاك ثانية أن تتخذي وعد انفصالها عن ابنك زلة لسان مهملة عندك لا تذكرينها بها.

زكية: أقول لك صراحة إنني لا أعارض طلب انفصالها عن ابني إذا ألحت عليه وقد يوافق عليه حالما يصبح سوء تفاهم لكن إذا جد الجد وعدت وعدها زلة لسان ساعة غضب، أضيف لها أنها كنتي أتجاوز عن لغوها الصبياني ساعة يأس وأظن أن عقبة يظهر شفقة عليها بدافع حظوتها في نفسه، وبالإضافة إلى هذا لم يكن لها ذنب في مصيرها إذا قدر عليها عدم الإنجاب القويم.

مريم: نعم سيكون قضاء وقدرا «لا قدر الله» ولذا أنا أناشدك مرات عديدة في أن تبذلي جهد طاقتك في الحفاظ عليها قرب ابنك، ولو بغير أولاد لأنها ستخضع لإعادة زواجه إذا رغب في الأولاد من غيرها.

زكية: ثقي بأن عقبة لن يتخذ لها زوجة ثانية وهي تدري بهذا.

مريم: إذن تتراجع عن طلب الانفصال ولا تذكره لأنه يسيء إليها وقد استغربته منها.

زكية: لولا مسحة جمالها الذي تتمتع به مثلما كانت أمها يعجل بإعادة زواجها بما فيهم الذين يعلمون عدم قدرتها على الإنجاب القويم لأعتبرت طلب الانفصال إن لم تقدر على الإنجاب حماقة، لا تصدر إلا من مغفل لأن أخوالها تضايقهم عودتها إليهم لكنها بررت موقفها الأخرق بإنهاء النزاع وتخليص غيرها من شقائها.

مريم: أتظنين أنها تشعر بشقاء؟

زكية: لا أعتقد بالنظر إلى حظوتها عند زوجها ومعيشتها الحسنة بعد ما تخلصت من حياتها الذليلة في كفالة أخوالها، بيد أني عندما أنظر إلى خيبة الإنجاب لديها أصدقها في شعورها بالتعاسة لكنها هينة وليست بالصفة التي تتفوه بها

(يدخل سهيل).

مريم: اللهم البشرى الحسنة من ولدك سهيل.

(تذهب من باب الممر).

زكية: ألك أخبار سارة عن نتائج التحاليل؟ إني إلى حد الآن ما زلت أترقبها من عقبة وإنه لم يحضر بعد خروجه صباحاً.

سهيل: ظننت أنني أجده هنا والنتائج معروفة لديكم.

زكية: ما زال غائبا عن البيت منذ خروجه منه صباحا وها نحن في الفترة المسائية أظن أن أمرا شغله لعله يكون انتظار النتائج في العيادة.

سهيل: إن تأخره لا يشغل بالي وكذلك صدور النتائج ولن تحيرني إن لم تكن اليوم حسب الموعد لكن ما حرصت عليه هو وجوب معرفة سبب الإجهاض.

زكية: أترجح بأن يكون له علاج؟

سهيل: أقول لك صراحة بعدما زحزحنا عقبة عن رفضه إن احتمال العلاج ضئيل في نفسي بناء على إجهاض أجنة بشعة وبالرغم من هذا أصررت على معرفة السبب الحقيقي بدافع الأمل ككل الأطباء والعلماء في رفع الأسى عن البشرية، وإن عقبة يدري بضآلة الأمل في نفسي ولم أخبره عنها وبكل الأحوال لا أجزم يقينا بخيبة العلاج ما دام الطب لم يفصل في القضية علميا.

زكية: وأي شيء يجعلك تميل إلى ضآلة الأمل في نفسك: كأنك تأثرت بأفكار أخيك.

سهيل: إني ما زلت آملا وقد يتحقق الأمل ولا أتوقع نتيجة سلبية مثل عقبة حتى يؤكدها الطب.

زكية: ولماذا لم تكن كلك أملا في نتيجة حسنة؟ بصفتك طبيبا تدري بأن الطب قد حقق نتائج باهرة كنا نعدها مستحيلة سابقا مثل زرع الأعضاء.

سهيل: إن ما ذكرت قد أصبح شائعا معروفا عند الجميع لكن ظروف حسناء عويصة وقد يقر الطب بالعجز اليوم في حالتها لكنه لا يتخذها مستحيلة في المستقبل بدافع الأمل.

زكية: وأي شيء يراه الطب عويصا في حسناء غير قادر على علاجه فيها حسب توقعك؟

سهيل: لا علم لي به الآن منها لأن ظروفها شاذة بأجنة هينة حتى توضحه التحاليل غير أن ما أدري به هو أن هناك أسبابا عديدة للإجهاض امومية وجنينية تسبب الولادة قبل الآوان، كأن تكون تشوهات في الرحم أو هناك وقف نمو الجنين أو يحدث تنافر دموي بين الأم وجنينها وتوجد عوامل أخرى لا داعي لذكرها، بل توجد أسباب أخرى غير معروفة في الطب اليوم وبأي حال ننتظر النتيجة من العلم وأحيطك علما يا أماه بأن الخلل قد يكون من الأنثى والذكر معا.

زكية: كنت متفائلة بالنتيجة فإذا بك تدفعني إلى التشاؤم مثلكما بذكرك أسباب الولادة قبل الآوان وأظن أن نتيجتها السلبية تكون من حسناء.

سهيل: وقد تكون من عقبة أو منهما معا.

زكية: إن الأسباب التي ذكرتها تصب في الأنثى.

سهيل: وهناك أسباب من الذكر بعاهات منه وأخرى منهما معا بل توجد أسباب غير معروفة في الطب اليوم لكنه سيتعرف عليها لاحقا.

زكية: وماذا يقرره الطب إذا عجز عن العلاج؟

سهيل: يأمر بوقف الإنجاب نهائيا مثلما عزم عليه عقبة سابقا على انتظار تقدر العلم في فك الغموض.

زكيـة: إن يكن هذا الظرف هو الذي تؤول إليه قضيتنا يدفع حسناء إلى انفصالها عن عقبة حسبما أصرت عليه لفض النزاع به فاضطر إلى تزويج أخيك ثانية، وأعتقد بأنني أجده غير مبال به أكثر من لامبالاته به خلال عزوبته.

سهيل: نعم وقد يرفضه مطلقا بعد انفصال حسناء عنه بدافع وعدها فتتلقين منه رفضا مطلقا ومتشائما في هذه المرة يثبت عليه إلى آخر عمره، لا أمل لك في إعادة زواجه ولذا نحافظ على بقاء حسناء قربه إذا خاب أملنا من الطب يزهدك في الولد منها.

زكية: إني لا أحبذ انفصالها عنه لأن رغبة الحفيد منها ضئيلة في نفسي بعدما كانوا لي منك ومن منصور لكن لا طاقة لي ولعقبة ببقائها معه إذا أصرت على الانفصال عنه مبررة موقفها بفض النزاع، لأنها تظن أنني أدفع ابني إلى اتخاذ ضرة لها وهي تدري بأنه لا يوافق عليها فتكون سببا في استمرار النزاع بيني وبينه، ولذا رأته حلا مرا مضطرة إليه لكيلا تحمل غيرها شقاءها معها.

سهيل: من رأيي يا أماه إذ خاب أملنا من الطب هو أن تقنعيها بأن إصرارك على إقامة التحاليل لم يكن بدافع رغبتك في الحفيد منها وإنما شفقة عليها في أن تصبح أما وهذا يسعدها أكثر منك.

زكية: أجل إن رغبتي في أن أراها أما أشد وأكثر من أن أكون جدة من إنجابها لأنني أصبحت جدة من هند ثم من فاضلة قبل زواجها من عقبة وها هي ما زالت بغير أولاد، وفضلا عن هذا نتخلص من فاجعة الإجهاض ومن

خلال اقتناعي بما أشعر به شفقة عليها أعلن عليها بمجرد التعرف على استحالة الإنجاب منها أنها تظل كنتي الوحيدة لي من عقبة طول حياتها بغير ضرة، وقد سمعت مني سابقا أنني لا أدافع عقبة إلى اتخاذ ضرة لها ولو بعدم إنجابها غير أنني لا أبذل قصارى جهدي في الحفاظ عليها إذا نفذت وعدها بعناد.

سهيل: لعلها تتراجع عن وعدها إذا بطل منها الإنجاب معتذرة وتعده زلة لسان ساعة يأس و خاصة إذا لم يظهر منك موقف يأس في الحفيد منها تتخذه مناقضا لإعلانك في استمرار زواجها بغير ضرة لها.

زكية: أعدك بأنني ألتزم بالسكوت ولن يتفوه لساني عن خيبتنا من الطب إذا تحققت.

سهيل: بل بادريها يا أماه بأنك تشاطريها الأمر الجلل بالصبر على ما قدر عليها تؤوله على اقتناع منها بأنك لا ترغبين حقا في تزويج عقبة ثانية.

زكية: ثق يا سهيل ما دمت أظهرت عاطفتك عليها رغبة في بقائها مع أخيك بأنني أبادرها طالبة منها ألا تلقي بالا على وعدها وإن تنفذه لا يفض النزاع حسب اعتقادها وإنما يحدث نزاعا حقيقيا في مطالبة عقبة بإعادة زواجه إذا انفصلت عنه.

سهيل: إذا سمعت منك أن انفصالها عن عقبة يحدث نزاعا بينكما لاحقا في إعادة زواجه لا تعد الوفاء بوعدها يفض النزاع وإنما يحدثه، فتتراجع عنه باقتناع وتعده أمرا قاهرا دفعتها ظروفها إلى التفوه به كأنها مكرهة عليه لا تفعله وتعده طاعة لك.

(يدخل عقبة من الباب الخارجي).

زكية: إننا في انتظارك ولولا المهمة التي ينتظرها منك سهيل لما وجدته هنا.

عقبة: إني كنت متوقعا زيارته لنا اليوم ليطلع على نتائج التحاليل التي جاءت حسب أفكاري في أن خللاً بيولوجيا هو السبب في إجهاض أجنة ضعيفة لا أمل في علاجها، لكن سهيل أصر على معرفته علميا ولم يكن آملا في تقويمه وإنما راغب في التعرف على سببه -(يضع المحفظة على مكتب ثم يخرج منها وثيقة)- هاهو، العلم الذي حرصت عليه يثبت لك الخلل علميا وقد وجده بسبب تقارب الدم بين الزوج والزوجة لا علاج له.

سهيل: تقارب الدم بينك وبين حسناء !!

عقبة: خذ الوثيقة واقرأها قبل تعجبك.

سهيل: (يتسلمها ثم يقرأ) «بعد التحاليل بدقة أثبتت أن خلل الإجهاض لأجنة ضعيفة قد كان بسبب قرابة الدم بين الزوجين من صلة قرابة من الأب أو الأم» (يرفع رأسه) ما هذا!!؟

عقبة: ما دامت العيادة قد وجدت خللا بتحاليلها فلا بد أن يكون له سبب فكان بقرابة الدم بيني وبين حسناء.

سهيل: لكن لا توجد قرابة الدم بيننا وبين حسناء فهي ليست ابن عمنا أو خالنا إلى إلخ... من القرابة.

زكية: إنها بعيدة عن القرابة ولا صلة لها من الأقارب الأباعد الذين تجمعنا بهم الكنية من الأجداد.

سهيل: نعم ولو كانت بيننا صلة قرابة من العمومة أو الخؤولة لأعتبرت إجهاض أجنة مشوهة ناتجا منها لأنني أعلم أن صلة القرابة تكون أحيانا سببا فيها ولا أمل في تقويمها.

عقبة: إنها التحاليل التي حرصت على معرفتها علميا فأثبتت لك الخلل الميؤوس من شفائه يقينا.

سهيل: إني لم أشك في الخلل سابقا وإنما أردت أن أتعرف على سببه علميا وليس تخمينا آملا في إصلاحه لكن ما ذكر في الوثيقة ليس علما لأنه لا توجد قرابة دم بيننا وبين حسناء.

عقبة: هذا لا شأن لي به الآن وإني لم أناقش العيادة في النتيجة حالما أطلعتني عليها لأن غرضي هو إحضار ما رغبتم فيه وعلى ضوئه أقرر وقف الإنجاب وتسلمون به ما دام الطب قد أثبت سبب الخلل القاهر له فلا يأمر إلا بوقف الإنجاب مثلي.

سهيل: إني أشك في أن خطأ قد وقع في النتيجة كأن يكون سهوا لأن قرابة الدم غير موجودة بيننا وبينها.

عقبة: لعل العيادة لم تتعرف على سبب الخلل علميا فاحتملته بقرابة الدم ما دامت الأجنة البشعة تحدث بين زوجين بينهما صلة القرابة.

سهيل: لكن العلم لا يحتمل وإنما يثبت بالبراهن والتجربة وإذا عجز عن معرفة سبب الخلل يقر صراحة بعدم معرفته ولا يحتمله ولا تظن أنه محتمل، لكن بما أنه ذكره في الوثيقة إذن أحتمل أن العيادة قد أخطأت في النتيجة وهذا غير مستبعد عندي لأنه يقع التقصير من الطب سهوا أو جهلا فيثبت شيئا لا أساس له من الصحة.

زكية: إن القانون يعاقب على التقصير سهوا أو جهلا فلا بد من أن تعاقب العيادة قانونيا.

سهيل: لا تتسرعي يا أماه في أحكامك حتى أتحقق من النتيجة في العيادة لعلها تكون نتيجة شخص آخر استبدل اسمه باسم عقبة سهوا فيكون التقصير هكذا فقط.

زكية: وباستبدال الأسماء سهوا يعدّ تقصيرا من الطب كذلك لكنه أخف من النتيجة المشؤومة التي ذكرت في الوثيقة.

سهيل: نعم ليست بالصفة التي أقرتها العيادة في قرابة الدم وإنها لخطيرة.

زكية: أدعك تتحقق من النتيجة الصحيحة بنفسك وبعدئذ يتخذ لها منصور موقفا قانونيا إن لم تتراجع العيادة عن تقصيرها بأي صفة معتذرة ومعيدة التحاليل بغير نقود، أي قرابة بين عقبة وحسناء؟ إنها ابنة نبيل ونعماء من عائلتين تختلفان كلاهما عن عائلتينا وما كانت معرفتي بها إلا بواسطة المعارف، فكان اقترانها بعقبة مثل اقتران أغلب الأزواج في العالم قاطبة.

سهيل: إني لا أقضي بأي شيء حتى أتحقق من صحة النتيجة في العيادة نفسها لكن أحتمل استبدال الأسماء أو شيء من هذا القبيل.

زكية: انطلق إليها منذ الآن وتحقق من الصحة بنفسك وأنت تؤكد لها بأنه لا توجد صلة قرابة بين الزوجين من العمومة أو الخؤولة ولو من الأباعد والكل يعلم هذا، وفضلا عن هذا هناك الوثائق القانونية تؤكد عدم وجود قرابة الدم ظننت أن الأزمة تحل بالتحاليل فإذا بها تأخذ منعرجا مبهما أكثر من سالفه أتمنى أن لا يكون مشؤوما علينا.

سهيل: دعي الأمور تنطلق تدريجيا نحو معرفة الحقيقة غاية رجل العلم ولا داعي للقلق ما دام الموقف مبهما، بيد أن تمكسنا بالعلم يقودنا إلى الوضوح وأعدك بأن أقدم لك القضية واضحة وضوح الشمس وسط سماء صافية.

زكية: من جهتي أذن لك بالانطلاق إلى معرفة سبب الخلل علميا لأنك حرصت على معرفته قبل أن يقرر عقبة التحاليل.

عقبة: لو أخذتم برأيي لكاتب معضلتنا قد حلت يوقف الإنجاب و لا تنعرج نحو المجهول وإني أخشى أن يكون قاسيا على أنفسنا إن لم تكن النتيجة محتملة أو سهوا حسب ظن سهيل.

سهيل: إن العلم لا يحتمل وإنما يثبت نظريا وإلا عد فكرا وبما أن ما ذكر في الوثيقة علم محض وليس احتمالا إذن هناك التباس ما زلت لم أدركه في سبب خلل الإجهاض الذي جعل بسبب صلة القرابة الغير موجودة بيننا، أظن أن الأمور فيها سهو من المحلل وبدلا من أن يكتب سبب الإجهاض بتنافر دموي بين الجنين وأمه سها فكتب سببه بقرابة الدم بين الزوجين.

عقبة: قد يكون هكذا حسبما تظن أو يكون محتملا بعدما صعبت عليه معرفة السبب لكن مهما تكن الحقيقة فإنها لا تبتعد عن أفكاري في أن الإجهاض ميؤوس من تقويمه بالنظر إلى صفته.

سهيل: إني لم أنكر صفته وإنما أردت أن أتعرف على سببها راجيا علاجها وليس يائسا منها مثلك وبما أنك فعلت تصير الأمور على عاتقي ولا أطلب منك شيئا، وإنما دعني أتقص الحقيقة في العيادة وأعدكم جميعا وعدا أفيئ به في توضيح الإبهام بغير جهل أو تقصير.

زكية: من جهتي أتنحى جانبا ولا أنبس بكلمة في هذه القضية الخطيرة حتى توضحها لي بغير إبهام ولو وبعد أيام عديدة وفي خلالها ألتزم بالصبر وأنا منتظرة ما وعدتنا به، وإني واثقة بأنك تفيىء بوعدك في فك الغموض ما دام لم يخرج عن نطاق الطب.

(تذهب من باب الممر).

سهيل: منذ الآن تظل الوثيقة بيدي وغدا أقصد العيادة لأتحقق من إذا ما كتب فيها لا يوجد فيه سهو أو خطأ.

عقبـة: إنـي أنصـحك يـا سـهيل بـأن تـدع الأمـور علـى حالهـا مكتفيـا بتأكيـد الخلـل البيولوجي علميا بغير علاج.

سهيل: لكنني غير متأكد من سببه وغير مصدق به حتى تؤكده لي العيادة ولعله يكون سهوا فقط والصحيح الذي أصدق به هو تنافر دموي بين الجنين وأمه ولنا أمل في تقويم صفته.

عقبـة: وإذا أكدت لك بأنه ليس سهوا أو خطأ وإنما احتمال لسبب الإجهاض بعدما صعبت عليها معرفة السبب فبماذا تطالب بعدئذ؟

سـهيل: أطالـب بـالعلم لأنـه لا يحتمـل مثـل الفلسـفة وإنمـا يثبـت بالتجربـة وإذا صعبت عليه معرفة السبب يقرها صراحة ولا يحتملها.

عقبة: لقد أثبت لك الخلل علميا بغير علاج وإن هذا يعد عندي كافيا في إيقاف الإنجاب بصرف النظر عن السبب الذي جعلته العيادة بصلة القرابة حسب نتائجها أو يكون سهواً أو خطأ حسب ظنك، ومن خلال إثبات الخلل بغير أمل في إصلاحه أريد منك أن تسلم به لأن السبب الحقيقي لا يعد ذا أهمية عندي ولذا لم أناقش العيادة فيه.

سهيل: إذا كنت لا تعبأ بمعرفة سبب الخلل ولا يهمك إلا أقراره بغير علاج ولو سهوا خطأ فهذا شأنك بصفتك أستاذا للفلسفة لكن تعد عندي معرفة السبب يقينا أمرا مهما أحرص على معرفته علميا.

عقبة: لقد ذكر لك السبب في الوثيقة وفرضا يكون سهوا أو خطأ والصحيح هو تنافر دموي بين الجنين وأمه حسب ظنك.

سهيل: نعم هكذا أظن لأنني غير مقتنع بالقرابة التي ذكرت لأنها غير موجودة بيننا ولذا أحرص على معرفة الحقيقة مهما يكلفني الأمر أملا في العلاج لأن التنافر الدموي بين الأم وجنينها فيه الأمل بالعلاج.

عقبة: ومن أدراك بأن الخلل بتنافر دموي وليس بقرابة الدم حسبما أثبتت؟

سهيل: معرفتي بأن حسناء ابنة نبيل ونعماء من عائلتين مختلفتين عن عائلتين كليهما وهما بعيدتان كل البعد عن العمومة أو الخؤولة تجعلني أحتمل الإجهاض بتنافر دموي و ليس بقرابة الدم، لكن لا أنكر وجودها وتكون بعيدة جدا بأجداد عديدين في غابر الزمان لا يعتد بها قرابة في الطب تسبب خلل الإنجاب.

عقبة: ومن أدراك بأن القرابة التي لم تتكرها بيننا من الزمان البعيد؟ ولو يكون إلى وقت الطوفان ولا يعتد بها قرابة في الطب تسبب الخلل لا تكون محتملة من العمومة أو الخؤول وإنه وارد عندي احتمالها وهي ليست مستحيلة.

سهيل: ماذا تقصد وضحه لي؟

عقبة: أحتمل القرابة بيننا وبين حسناء.

سهيل: على أي أساس تحتمل القرابة بيننا وبينها؟ وأنت تدري بأنها غير موجودة.

عقبة: وتكون موجودة إذا أسند احتمال القرابة بيننا إلى استبدال مولود بمولود في المستشفى سهوا أو قصدا فتكون محتملة ونحن ابن عمومة أو خؤولة، وهذا ما احتمله المحلل قبلي بعدما وجد قرابة الدم بالتحاليل وهي غير مدونة في دفتر المعلومات التي أخذت مني قبل التحاليل.

سهيل: أو تظن أن القرابة موجودة بيننا وبينهما على أساس استبدال مولود بمولود في المستشفى سهوا وليس قصدا مثلما احتملها المحلل وانسقت إلى احتماله معه؟

عقبة: إني لا أظن وإنما أحتمل وجودها وهي ليست مستحيلة مادام التقصير يقع من الطب وقد سبقني المحلل إلى احتمالها وهو يدري بأنه لا توجد قرابة دم حسب المعلومات التي بين يديه قبل التحليل.

سهيل: بصفتي طبيبا أحترم نتائج التحاليل مبدئيا تجعلني آخذ الاحتمال الذي احتمله المحلل واحتملته معه بعين الاعتبار ولا أعده مستحيلا أنا كذلك، ولذا يقتضي مني الموقف بأن أقصد العيادة حالا وليس غدا لأتأكد من أن قرابة الدم التي ذكرت في الوثيقة هي حقيقة علمية لا لبس فيها أو سهو أم هي خطأ طبي بأي صفة.

عقبة: إني أخفيت ذكر الاحتمال عن أمي آنفا في استبدال المواليد رغبة مني في ألا تهب عاصفة في هذه الدار لكن تعمدت ذكره لك بعدما أصررت على التأكد مِمّا أقرت به التحاليل، لأنصحك بألا تتعقب الأمور حسبما عزمت عليه لأنني أخشى أن تجد الحقيقة مرة مرارة طعم العلقم إذا تأكدت قرابة الدم باستبدال المواليد ولم تكن خطأ طبيا أو سهوا قل لي ماذا تستنتج؟

سهيل: أستنتج العلم اليقين.

عقبة: وقد يكون اليقين هو أن أب حسناء عم أو خال أو أمها عمة أو خالة بدلا مما نعتقد به الآن من العمومة أو الخؤولة فتعرض العائلة إلى القيل والقال وبإهمالك الأمور لا تهب العاصفة.

سهيل: لكن إذا كانت النتيجة خطأ طبيا أو سهوا نتفادى مر الحقيقة.

عقبة: فرضا أن سبب الإجهاض يكون بسبب قاهر للطب لم يتعرف عليه فاحتمله بسبب قرابة الدم وهذا ما أتمناه لكيلا نجد الأسوأ بعدئذ غير أنني أسألك ماذا تستفيد من دحض الخطإ؟

سهيل: ماذا أستفيد من بطلان الخطأ إن هذا الكلام لا يقال لطبيب تصور لو أن طبيبا لم يتعرف على سبب الألم في جسد مريضه لما استطاع أن يقدم له الدواء النافع غير مسكنات مؤقتة، فيظل الألم يعود إليه تارة أخرى لكن إذا تعرف على السبب يصف له الدواء الذي يقضي على الألم من جذوره، عقبة إنه لا لوم عليك إذا أولت سبب معضلة من معضلات الحياة بسبب ما ثم يكون السبب غيره بأفكار تدحضه لكن العلم إذا ذكر سبب العلة يظل ثابتا لأنه حقيقة علمية.

عقبة: وإني أخشي من سعيك إلى معرفة الحقيقة أن تجدها مرة فتتعرج بها الأمور اتجاه المجهول أتوقعه سيئا على أنفسنا وأهونه القيل والقال وهذا محتمل عندي بناء على إثبات القرابة علميا، لكن إذا عدلت عما عزمت عليه بغير تردد تجنبنا القيل والقال والأسوأ منهما ولا تتأزم الأمور كأن نلجأ إلى معرفة تاريخ ولادة الأعمام والأخوال كلهم، لعل واحداً منهم يكون عمره يطابق عمر أب حسناء أو أمها بالرغم من وفاتهم جميعا وبإهمالك الأمور لا تهب العاصفة بعدما تأكد الخلل الميؤوس من علاجه فأقرر على ضوئه وقف الإنجاب فخلاصنا.

سهيل: لكن أمي قد علمت ما ذكر في الوثيقة ولا أظنها تهملها وإنما تدفع منصور إلى رفع دعوة قضائية بالعيادة على الخطإ فرضا وقصدها يكون في الاعتذار وإعادة التحاليل بغير نقود، وفضلا عن هذا لقد وعدتها بتقصي الحقيقة غاية رجل العلم وهي الآن منتظرة توضيح الإبهام مني فلا مفر لي من قول الحقيقة.

عقبة: إن الحقيقة مرة غالبا وتوقعا لمرارتها أنصحك بألا تطلع أمي عليها مكتفيا بقولك لها إنك رجحت سبب الإجهاض بتنافر دموي بين الأم

وجنينها على قرابة الدم التي ذكرت في الوثيقة، فآملت علاجه في المستقبل جعلك تلغي به ما عزمت عليه في العيادة لأنك اقتنعت بما رجحت.

سهيل: فرضا أنه يكون هكذا حسبما احتملته آنفا لكنها ستطلع منصور على الخطإ الطبي ولا أظنه لا يبالي به وإنما يرفع دعوة قضائية بالعيادة وغايته التعويض على الضرر، ناهيك عن انفصال حسناء عنك.

عقبة: اصرف منصور عن رفع دعوة قضائية بخطإ العيادة لقلة شأنه عندك مادام الطب لا يخلو من الخطإ والسهو فيزهد في التعويض على الضرر، لأنه جاء من صميم حرفة أخيه بينما حسناء أقنعها بأن الخلل لم يكن تقصيرا منها أو مني يجعل طلب انفصالها عني باطلا بغير سبب فتتراجع عنه، وإذا عللت موقفها بفض النزاع في هذه الدار أبطله بمغادرتنا منها معا إلى مسكن آخر وأعدها بألا أسعى إلى الأولاد بأخرى، فتهدأ هواجسها من الضرة على أمل الإنجاب مثلك إذا كان الخلل بتنافر دموي وليس بقرابة الدم و مهما يكن السبب تسلم بالأمر القاهر لنا جميعا.

سهيل: لكني أصبحت أحتمل السبب بالقرابة كذلك ولن أهملها حتى تدحض وحفاظا على مبادئ رجل العلم في معرفة الحقيقة والوعد الذي التزمت به يجعلاني في طريق اللارجوع منه مهما يكلفني السعي.

عقبة: بأي حال أنت الذي حرصت على معرفة سبب خلل الإنجاب ظانا أنه يكون له علاج لكن إذا حاد الداء عن الجسد وتعلق بمعضلات الوجود يكون غالبا بغير علاج، وقتما تبرز لنا منه معضلة وإن قضينا لا تخلو منه في حال ما إذا لم يكن ما ذكر في الوثيقة خطأ طبيا بسهو حسبما تظن.

سهيل: مهما يكن الموقف الذي يؤدي بي إلى معرفة الحقيقة العلمية فلن أتراجع عنه مادمت ملتزما بمبادئ ووعدي فلأكن صادقا مع نفسي بأي ثمن.

عقبة: ولو يكون الثمن بمزيد من الهرج والمرج لنا جميعا على نطاق واسع يشاركنا فيهما أبناء الأعمام والأخوال عوضا عن أبائهم المتوفين جميعا.

سهيل: نعم لكن نستخلص من الأزمة موقفا حكيما يرشدنا إلى المزيد من القدوة بالطب في معرفة إيجابية الإنجاب قبل الزواج.

عقبة: ولا بد له من قانون ينص عليه أشك في اتفاق المشرعين عليه وإذا شرع قد ينتهك من محب ابنة العم لو يقصد عيادة طبية طالبا شهادة إيجابية الإنجاب بغير فحص فيتحصل عليها ولو تزويرا.

سهيل: إن القانون يعاقب المزورين.

عقبة: وما فائدة العقوبة على التزوير ؟ إذا وقع الهم بأجنة ضعيفة بها غريزة حب البقاء بسبب قرابة الدم من ابنة العم المحبوبة.

سهيل: إنك انعرجت إلى قضايا القانون وهي من اختصاص منصور وهو كفيل بمناقشتك فيها قدر الكفاية لك وليس مني لأن اختصاصي هو الطب.

عقبة: واختصاصي هو الفكر يبدأ حيث ينتهي العلم.

سهيل: مازال العلم لم ينته في قضيتنا.

عقبة: بالنسبة لي قد انتهى بمجرد تأكيد الخلل الميؤوس من شفائه فيحل محله الفكر.

سهيل: وبالنسبة لي مازال لم ينته حتى أتأكد مما ذكر في الوثيقة فإذا وجدته علميا وليس سهوا أو خطأ أسلم لك المشعل لتحتمل كيف تصير الأمور بعدئذ.

عقبة: لو تتحقق قرابة الدم علميا مثلما ذكرت ولم تكن سهوا أو خطأ نصبح في حيص بيص في هذه الدار.

سهيل: فليكن لكن يظل العلم يكشف لنا الحقيقة ولو تكون مرة أحدثت سهوا في استبدال مولود بآخر

عقبة: وإذا كشفها العلم بالبرهان لا نجني منها إلا الهيجان.

سهيل: إنه غاية رجل العلم وبصفتي واحدا منهم أسعى إلى إثباتها به.

عقبة: إذن يتمدد الهرج والمرج في هذه الدار ولا يوقفهما إلا وقف الإنجاب.

(يخرج سهيل من الباب الخارجي وعقبة يختفي من باب الممر تخفت الأضواء- ثم تنطفئ دليلا على مرور أيام ثم تضاء على المسرح).

المشهد الثاني

- البهو نفسه بعد أيام تكون فيه زكية جالسة على أريكة -فترة- تدخل فاضلة من الباب الخارجي.

فاضلة: عمي مساء.

زكية: أهلا فاضلة.

فاضلة: كيف حالك وحال حسناء.

زكية: إني بخير وكذلك حسناء من ناحية صحتها وقد عادت إلى شغلها وهي الآن في زيارة بيت أخوالها لكن حالتها النفسية تزداد تدهورا من يوم ليوم، بالرغم من أنني لم أخبرها عن نتائج التحاليل التي جاءت سلبية ومشؤومة وأظن أن عقبة هو الذي أطلعها عليها فساءت نفسها بها.

فاضلة: أقول لك: صراحة إني أصبحت أخشى كثيرا على حسناء ولست أدري بما يؤول إليه حالها وقد يكون الانفصال حالما تخبر عن نتائج التحاليل التي تأكد منها سهيل في العيادة وأراد مني أن أكشفها لك وحدك بغير أحد معك.

زكية: (تقوم) حقا إني كنت منتظرة منه توضيح الإبهام من النتائج بوضوح بعدما ذكر في الوثيقة قرابة الدم وهي غير موجودة بينهما وقد شك سهيل في نتائجها ووعدني بتوضيح الإبهام.

فاضلة: لقد وفى بالوعد فوجد الحقيقة المرة في أن العيادة لم تخطئ ولم يقع منها سهو لأن ما ذكر في الوثيقة صحيح تأكد منه سهيل بالدلائل القاطعة علميا وبمعاينته لها فصدق بنتيجة قرابة الدم بين حسناء وعقبة، لكنها تكون بسهو في استبدال مولود بمولود في المستشفى من الأعمام أو الأخوال.

زكية: أحقا!؟ أحقا!؟ توجد قرابة الدم بين حسناء وعقبة مؤكدة علميا.

فاضلة: نعم وهي حقيقة علمية ثابتة بالبرهان صدق بها سهيل من العيادة التي أقرتها وهي مستعدة على إثبات حقيقتها إذا ما رفضت نتيجتها من أي أحد.

زكية: وأول رفض يكون مني لشؤمها وثانيه يكون من منصور يمكنني من أن أدفعه إلى مقاضاة العيادة بالرغم من ادعائها الحقيقة وهي مستعدة على إثباتها ولا تكون إلا مشؤومة إذا صح الادعاء العلمي.

فاضلة: نعم لكنها حقيقة علمية لا تخشى منها سوءًا وسهيل مسلم بالأمر الواقع ويريد منا أن نسلم مثله ولا داعي للشك فيه، لأنه مؤسس على علم فيكون

مقاضاة العيادة باطلا لا نجني منه إلا التعويض ماليا على اتهام العيادة بالخطإ.

زكية: إن تكن النتيجة حقيقة علمية تملأني رعبا بتوقعي حصول فاحشة سببت لنا قرابة الدم.

فاضلة: حصول فاحشة !

زكية: نعم بها حدثت القرابة حسب أغلب ظني وليس باستبدال مولود بمولود في المستشفى وفضلا عن هذا لنا تاريخ ازدياد الأعمام والأخوال وبه نستطيع أن نتأكد من أنه لم يحصل استبدال في المواليد وحسب أغلب ظني لن نجد أحدا منهم يطابق تاريخ ميلاده بتاريخ ميلاد أب حسناء أو أمها.

فاضلة: ربما يكون عم أو خال مولودا في اليوم نفسه لمولد أب حسناء أو تكون عمة أو خالة مولودة وقتما ولدت أمها ولم تحصل فاحشة حسب أغلب ظنك وإنما حصل استبدال في المستشفى.

زكية: بل أغلب ظني يميل إلى وقوع فاحشة وإني أخشى من الرعب الذي سيطر على مشاعري الآن أن يكون فاجعة على نفسي لم أتوقع إخفاءها لي في قلب الزمان إذا تحققت قرابة حسناء بعقبة ليس من الأعمام أو الأخوال ولو بفاحشة وإنما من الأب نفسه فتكون حسناء أختاً لعقبة.

فاضلة: وما يجعلك تتوقعين قرابة الدم من الأخوة؟ وتستبعدينها من العمومة أو الخؤولة ولو فرضا تكون بفاحشة حسب أغلب ظنك وهي محتملة منهم كذلك.

زكية: إن توقعي في قرابة الدم من الأخوة بفاحشة مبني على ملامح وجه عقبة القريبة الشبه بملامح وجه حسناء ولاسيما الجبهة وكم من مرة تأملت

فيهما كثيرا وهما معا وقد عاد إليّ التأمل فيهما عندما ظ هرت التحاليل المشؤومة، لكن هدأت هواجسي بأنه مجرد صدفة أما الآن حالما أطلعتني على صحة القرابة أجزم بأنها لم تكن بالاستبدال وإنما بوقو ع فاحشة ومن زوجي واستبعدها من الأعمام أو الأخوال بناء على الشبه بينهما.

فاضلة: ولو تكون القرابة من الأخوة حسبما تتوقعين فلن نشك في عفتك بدليل إثارة القرابة بإثم واستبعادك لها بالاستبدال لأنك واثقة من عفتك.

زكية: نعم ونعم إني واثقة من عفتي وإن عقبة هو ابن إقبال حقا ويقينا أؤكد نسبه إليه في غيابه بعدما طواه الردى لخمس عشرة سنة مضت وإني مستعدة على مواجهة كل من يتهمني في عفتي، وفضلا عن هذا لو لم أكن متأكدة من عفتي لما أثرت حصول الفاحشة في سبب قرابة الدم بناء على شبه الجبهتين وإنما أعدها بالاستبدال إبعاداً لِكشف السر.

فاضلة: نعم هكذا نعتقد ويعتقد الناس معنا إذا كانت القرابة من الأخوة بفاحشة وليس باستبدال لكن لعل ما تتوقعين يكون لا أساس له من الصحة، فيكون الشبه بين الجبهتين باطلا وهو صدفة فتكون القرابة بالاستبدال وليست بفاحشة كذلك.

زكية: ثقي يا فاضلة بأن ظنوني لم تصدر من أوهام في وإنما هي مؤسسة على الشبه بين الجبهتين وكم من مرة قلت لعقبة إنك شبيه أبيك ولا سيما بالجبهة وها هي جبهة حسناء تشبه جبهتيهما، ولم ألاحظ هذا الشبه على الأعمام أو الأخوال ولو لم يتوفوا جميعا قبل زواجك بسهيل لأكدت لي صحة الملاحظة.

فاضلة: مهما يكن أغلب ظنك صحيحا فلن يشك أحد في عفتك ودليلي دوما هو اهتمامك بالقرابة من الأخوة دون خوف من كشف السر لأنك لا تخشينه حسبما تتوقعين.

زكية: نعم لا أخشاه ولن أخشاه إن تصدق قرابة الدم المشؤومة.

فاضلة: ثقي بأنها حقيقة علمية لا شك فيها.

زكية: إذن وقعت الفاحشة بينه وبين نعماء سرا وهذا لا شأن لي به الآن بعد وفاته ووفاتها لعقد ونصف لهما معا إذا كانت مسحة جمال نعماء قد أغوته فارتكب بها الجريمة الزوجية، فتكون حسناء ابنته ومنسوبة من أمها إلى أبيها نبيل زورا وبهتانا بيد أن ما أهتم به هو عفتي وشرعية الزواج.

فاضلة: لعل توقعك يا خالة لم يحدث ولا أساس لها من الصحة وإنما هي هواجس منك.

زكية: ثقي يا فاضلة مرة ثانية وثالثة بأن ظنوني لم تنطلق من فراغ ولم تكن عشوائية ولست غيورا من جمالها ولا سيما بعد وفاتها ووفاته لعقد ونصف وأنا في العقد السادس والنصف، غير أن هواجسي في القرابة قد تحركت في نفسي بمجرد ذكرك تأكيد قرابة الدم علميا فاتجه تفكيري مباشرة إلى القرابة من الأخوة بناء على شبه الجبهات الثلاث بينهم فملأني رعبا.

فاضلة: بالرغم من أنني لا أنكر شبه جبهة عقبة بجبهة حسناء وقد ظننته صدفة سابقا وكم من إنسان يشبه آخر وهو غير قريب له يقينا لا أتوقع مثلما تتوقعين حتى تؤكده التحاليل من زوجك.

زكية: لكنه الآن عظام رميم في القبر لخمس عشرة سنة خلت فكيف تكون منه التحاليل؟

فاضلة: إن العلم قد أصبح يأخذ العينة ولو من العظام النخرة ويقيم عليها التحاليل تدعى في عرف العلم البصمة الوراثية بالحمض النووي D.N.A.

زكية: إني لا أعارض أخذ عينة منه وهو في القبر من أجل ثبوت عفتي قبل شرعية الزواج لأن الناس يختلفون في الاتهام وقد تميل فئة إلى إدانتي به رجما بالغيب، ولو تعلل تستنتج أن الذي يثير سرا من الأسرار لا يخشى منه بعدما ينكشف لأنه متأكد من براءته، وبالإضافة إلى هذا أتأكد من شرعية الزواج إذا كانت ما فجرته العيادة قنبلة حقيقية وليست فرقعة صبيانية.

فاضلة: بأي حال قد أصبحت القضية تتعلق بإثبات النسب الحقيقي سواء حصل بالاستبدال أو بفاحشة وأعتقد بأن سهيل وعقبة لا يترددان في المزيد من التحاليل بإجراءات قانونية لأنها تكون ممن في القبر لكنها تكون حتما مقضيا ولا سيما على عقبة.

زكية: ولي كذلك لإثبات عفتي سأدفع منصور إلى هذه الإجراءات ولو بمقاضاة العيادة بالرغم من أنني أكاد أصدق نتيجتها.

فاضلة: أعتقد بأن منصور لا يتجرأ على مقاضاة العيادة بغير دليل ملموس لأنه يحتمل انقلاب الدعوة ضده لكنه يوافق على نبش قبر أبيه وربما لا ينبش، لأن العدالة تلجأ إلى الإجراءات السهلة في البحث عن أب حسناء بالشرطة لعله يكون على قيد الحياة بعد اختفائه للتحاليل منه وقد يثبت أبوته لحسناء لكنه يكون عما أو خالا لعقبة فتكون القرابة بالاستبدال.

زكية: إنك ما برحت تلحين عليه لكن من جهتي استبعده وتظل ما ظننتها بالشبه تزداد في نفسي ولن يهدأ لي بال ولذا أقصد منصور حالا إلى بيته لأوجه له أوامري في أن يتأكد من ميلاد كل عم وخال وخالة وعمة له بميلاد أب حسناء وأمها، وإن أغلب ظني قبل التأكد من التواريخ أنه لا يجد تطابقا بين أحديهما فتكون القرابة بالأخوة ومن زوجي، لو قادني النظر إلى التأمل في جبهة حسناء لشككت في أن قرابة محتملة بينها وبين عقبة لما خطبتها له عندما تعرفت عليها.

فاضلة: إن الأمور قضاء وقدر.

زكية: نعم لكن بعدما أصبح أغلب ظني يميل إلى أخوتها بعقبة لن يهدأ لي بال حتى أبرأ نفسي فتهدأ هواجسي.

فاضلة: لا داعي للاضطراب كوني هادئة.

زكية: لو لم يمت زوجي ونعماء لما حدث لي هذا الهيجان وإني أخشى من أن يصبح فاجعة على أنفسنا أوقعتنا فيها منيتهما معا.

فاضلة: لعل هواجسك باطلة يدحضها العلم.

زكية: أتمنى أن يدحضها فلا تتأكد المأساة علينا لكن إذا قدرت علينا تتفق الآراء جميعا على إدانة الردى بها وتبرئتي منها، لأنني خطبت حسناء بنية حسنة وأنا لا أدري بأنها أخت لعقبة أعمى بصري وبصيرتي موت زوجي وأم حسناء ويظل هو السبب في الأسى كلما تحدث مأساة لغيرنا مثلنا.

فاضلة: أجل سنقول جميعا بلا استثناء إن منية الذكر والأنثى هي السبب فيها إذا تحقق أغلب ظنك بالشبه وإن لم يتحقق يكن الحمام بريئا من شقائنا.

زكيـة: إن أغلب ظنـي يميل إلـى تأكيد الفاجعة علينا ولن يكون الردى بريئا منهـا، هيـا فاضـلة إلـى منصـور حـالا للأمـره برفـع دعـوة قضـائية فـي المحكمـة ليس فـي خطـإ العيادة لأننـي أكاد أصـدق بصـحة النتيجـة وإنمـا لإثبات عفتـي وشرعية الزواج، هل يكون باطلا من محرم؟ أوقعنا فيه الحتوف فيكون هو خصمنا في المحكمة ولو تضطر الأزمة إلى التحاليل بالحمض النووي D.N.A من الذي أخنى عليه الذي أخنى على لبد فجعل أفعالنا بمنيته قبض ريح عبثا ووهما.

ينزل الستار على

الفصل الثاني

ـــــ ستـــار ـــــ

❀ ❀ ❀

الفصل الثالث

المنظر

البهو بعد أيام تكون فيه الخادم تمسح

- فترة- تدخل زكية من الباب الخارجي-

المشهد الأول

زكية: أبدلي جهدا عظيما في مسح البهتان من نفوس النسوة وليس في مسح البهو، تصوري يا مريم أنني أصبحت حديثهن يتهمنني في عفتي بغير دليل قاطع ولو محصن الواقعة بمنطق سليم لاستخلصن منها أنني بريئة بدليل إيثارتي للقرابة بفاحشة لأنني لا أخشى من تأكيدها وفضلا عن هذا إن مسحة جمال نعماء تجعلها دافع الإغواء والإغراء إني لا أنكر أن البعض منهن اللائي يعرفن نعماء قد وجهن الاتهام إليها وحدها.

مريم: هدئي من جزعك يا سيدة زكية باستنادك إلى أن القرابة التي ادعت بها العيادة ما هي إلا خطأ في خطإ أعمى تأثير العين المحلل عن رؤية الحقيقة فيها.

زكية: ليست النتيجة ادعاء وإنما علم محض صدق به ابني سهيل فكيف تريدين مني أن أتخذها خطأ بتأثير العين؟ وفرضا انساق إلى رأيك تظل الألسنة تلحد في سمعتي وهي لا تعلل مسحة جمال نعماء في سبب الإغواء عينه، وإن كل من عرفها أو رأى صورتها مثلي لا يتردد في إدانتها وحدها بدليل جمالها الفتان.

مريم: قليل من التعقل يا سيدة زكية لأن المخلوقة هي الآن في القبر منذ خمس عشرة سنة مضت ومهما تكن صحة ريبتك فيها فلن أرتاب معك فيها لأنني ما زلت أعد التحاليل ادعاء لا أساس له من الصحة وإنما حسد في حسد بتأثير العين وإنها حق.

زكية: لك رأيك وأتمنى أن يتحقق لكيلا تقدر علينا الفاجعة غير أنني أظل مهتمة بالأزمة كثيرا حتى تتحقق عفتي ويعلنها الجميع في أنني لم أقترف الجريمة الزوجية.

مريم: ثقي بأنني الأولى أعلن عفتك وأبرئ المرحوم والمرحومة كذلك مما أثارته التحاليل خطأ بتأثير العين، وإنها لقوية جاعلة الفارس المغوار طريح الفراش من غير أذى لا يكشفه الطب وإنما يدركه الدين ثم يشفيه بالرقية ولذا أحثك على إرقاء هذه الدار.

زكية: إني لا أرفض إرقاءها فعسى أن يصل خبر الإرقاء إلى النسوة فيكففن عن البهتان ولو بدافع تديني.

مريم: نعم الرأي منك حالما أدركت أن الدين قادر على رفع الأذى عنك وعن حسناء كذلك لأنها أصبحت تثير شفقتي عليها من خلال وجهها الشاحب كمنظر وجه ميت شاخص البصر مثلها كمثل الفارس المغوار طريح الفراش بتأثير العين لقيت حسدا من جمالها فأثر فيها بالإجهاض ثم أعقبته تحاليل خاطئة.

زكية: بالرغم من تدهور صحتها قد أعلنت عليها صراحة أن وجودها معي قد أصبح أجله قريبا ولو تكون قريبة وليست أختا حالما يتحقق منصور من تواريخ الأعمام والأخوال، وإذ تكون أختا بعدما يقتضي الموقف بالبحث عن أبيها ولو قضائيا يصبح مصيرها معروفا للجميع.

مريم: لا داعي للبحث عن أبيها لأنه ميت حسب ظني ولو لم يكن ميتا لما طال غيابه لأكثر من عقد ونصف عن زوجته وابنته.

زكية: لا شيء يؤكد لنا وفاته وإنما نعده مفقودا قبل وفاة زوجته بسنة ولا خبر يؤكد موته أو وجوده في مكان ولو يكون في المهجر.

مريم: إذن إنه ميت ولا دافع بأن تكلفي منصور بالبحث عنه وإنما كلفيه بالبحث عن إمام للإرقاء تري نتيجة الدين بعد أيام عندما تتراجع العيادة عن ادعائها طالبة الاعتذار عن خطئها، كأن تجده صدفة في وثيقة لم تسلم وسلمت غيرها بعدما تسري القدرة الخفية بفضل الدين مزيلة تأثير العين ومرشدة العيادة إلى التحاليل الصحيحة وتكون إيجابية.

زكية: إن رغبتي لشديدة في أن ألجأ إلى الدين مثلما تحثينني عليه دوما عسى أن يبدد أزمتنا بعدما انتشر خبرها عند أخوال حسناء وجيرانهم، ويظل منتشرا ولا أتخلص من همه حتى يتحقق منصور من استبدال المواليد أو تظهر الحقيقة عند أب حسناء إذا وجد لأنه رفض رفع دعوة قضائية للتحقيق من ادعاء العيادة لعدم وجود دلائل قاطعة تدينها.

زكية: وإني أرى أن يدين منصور تأثير العين ثم يقضي عليه برقية عند إمام وليس قضائيا (يدخل سهيل) اللهم البشرى الحسنة من ولدك سهيل كان يخبرك حالا عن تراجع العيادة عن ادعائها هذه أمنيتي راجية تحقيقها برقية تتفقين عليها مع ابنك.

(تذهب من باب الممر وبيدها الممسحة).

زكية: سهيل إنك لا تدري بمدى تعاستي من أزمتنا ولن أتخلص منها حتى تظهر الحقيقة وإلى ذلك الوقت أظل قلقة حيرى.

سهيل: هدئي من روعك وثقي بأن القيل والقال لم يكن بحقيقة علمية أو منطق سليم ما دامت القضية مبهمة فلا يدّل في هذا أو ذاك شيء سيئ حتى يصبح علميا، إني مازلت أعد القرابة من العمومة أو الخؤولة بالاستبدال حتى يدحضها منصور في مصلحة الولادة ولا أعدها من الأخوة مثلك بناء على الشبه، لأنني أعلم أن الوراثة قد تعود إلى الجد أو الذي قبله وقد أكد العلم عودتها إلى أجداد عديدين فيكون الشبه من أحدهما موروثا.

زكية: أتمنى أن يتحقق أملك فتكون الصفة موروثة من بعيد فنتفادى بها الفاجعة وبكل الأحوال لن تظل حسناء معي ولو تبطل أخوتها لعقبة ولا يهمني مصيرها ولو يكون إلى الشارع وأريد منك أن تتخذ الموقف نفسه مثلي.

سهيل: لن أتخذ موقفا ثابتا حتى تتضح الأمور وقد تكون القرابة بالاستبدال فيظل الزواج شرعيا لا داعي ولا دافع لقطعه بل نترك شأنه لعقبة يتخذ له ما يليق به، وقد يهدئ الأمور بمغادرته إلى مسكن آخر.

زكية: لا يهمني استمرار زواجه بها غير أن بقاءها معي قد أصبح يسبب لي القلق بالرغم من ظروفها السيئة تخالها شبحا تحت ضوء خافت.

سهيل: إنها تمر بفترة حرجة في حياتها أكثر مما مرت به في فترة الإجهاض وأتمنى ألا تتوتّر أعصابها فتؤدي بها إلى حالة مرضية نفسية.

زكية: وما تظن يحدث لها أكثر مما تعاني منه الآن؟ لقد أصيبت بدوار أمامي جعلها تتأرجح يمينا وشمالا ولو لم أمسك بها لسقطت على الأرض.

سهيل: إن دوارها يدل على توتّر أعصابها بصراع ينهش نفسها أترجى أن يخف عنها بمرور الوقت أو بمن يقنعها بأن قضيتنا لا إثم لها فيها، فعسى أن يزول عنها الصراع النفسي ولا يتطور إلى الأسوإ من الدوار.

زكية: إنك يا برحت تخشى عليها بتوقعك الأسوإ لها من الدوار ولو يكون الجنون فلن أبالي بها وإنما أصر على إبعادها عني إلى جهة أخرى لا أكترث بها.

سهيل: رجائي منك يا أماه أن تظلي حسب عهدك الحسن بها متناسية الأزمة لأننا نحن الذين دفعناها إلى حث عقبة على التحاليل.

زكية: لو كنت أتوقع سوء عاقبتها بمثل هذه الصفة لأيدت عقبة في إيقافها عن الإنجاب طول حياتها.

سهيل: ومن خلال سوء العاقبة التي كنا نجهلها وتجهلها معنا نكون شركاء في الأزمة فتدفعنا إلى البحث عن اليقين.

زكية: وإني واثقة بأن اليقين لا يكون في استبدال المواليد فنضطر إلى البحث عن أب حسناء وإذا وجد يكشف لنا سر غيابه بغير رجوع إلى أهله، ولا يكون إلا بسبب إثم زوجته ولذا لم تبحث عنه هي وأخوالها.

سهيل: إني لا أظن مثلك ما دام غيابه مبهما لا دليل فيه، وقد يكون نوى العودة إلى أهله لكن حدث له شيء قاهر كأن يكون حادث مرور فقد فيه حياته أو ذاكرته ولا شيء يدحض احتمالي حتى يفند بالدليل.

زكية: إن احتمالي في غيابه بغير رجوع لم يكن عشوائيا مني وإنما أنطلق من إهمال البحث عنه وإني أعذرك على احتمالك، لأنك قصدت به انفراج الأزمة ومهما تكن الحقيقة فلن تظل حسناء معي ولو تظل زوجة لعقبة.

سهيل: إني أعذرك على مواقفك اتجاه حسناء بسبب القيل والقال غير أنني لا أكون مثلك فتظل حسناء محل اهتمامي أسعفها إذا وقع لها مكروه محتمل في الأيام القادمة.

زكية: وماذا تظن يحدث لها أكثر مما تعاني منه الآن؟ لقد رأيتها تبكي في الحديقة عدة مرات وقد ظننته ناتجا من التفكير في مصيرها حالما يتخلى عنها الجميع.

سهيل: إن يتخل عنها الجميع فلن أتخلى عنها بصفتي طبيبا يسعف مرضاه وإني أعدها تعاني من صراع نفسي بناء على دوارها وبكائها ولابد لها من أدوية تهدئة الأعصاب لعلها تكون كافية فلا يتفاقم التوتر لديها.

زكية: إني متقبلة حالتها التي بدت لي سيئة إلى أجل مسمى وقد أمرتها بألا تقوم بأي شغل نظرا لظروفها لكن بعد ظهور الحقيقة ولو تكون قريبة وليست أختا يصبح مصيرها الابتعاد عني إلى جهة لا أكترث بها.

سهيل: لا تتسرعي في أحكامك عليها لأنها ما زالت كنتك ولعلها تظل هكذا إلى آخر عمرها لأنني واثق بأن عقبة لن يتخلى عنها زوجة أو أختا لكن يحل الأزمة بينك وبينه بمغادرته إلى مسكن آخر.

زكية: فليستعد منذ الآن من جهتي على إبعادها عني بأي صفة تكون له حسبي ما سببته لي.

سهيل: أماه عامليها بإحسان فلعله يخفف عنها أزمتها مع أدوية مهدئة لأعصابها وإنها لابد منها لكيلا يحدث لها الخطير الأسوأ فيؤنبك ضميرك حالما ترينها هيكلا آدميا يسير إلى الضياع.

زكية: ما دمت لم تكف عن توقع الأسوإ لها أكثر مما تعاني منه الآن أعدك بأنني أغير سيرتي معها عسى أن تعود إلى عافيتها فيكون خروجها من هذه الدار خفيفا على نفسي، لا يؤنبني منه ضميري لأنني أتوقع لها الشدة في حياتها القادمة بغير كفالة.

سهيل: مازال لم يحدث ما تتوقعين لها ولعله لن يحدث إذا ظل موقفنا الحسن مستمرا لها وثقي بأنه يساهم في عودة عافيتها إليها مع أدوية أنطلق حالا إلى إحضارها لها قبل فوات الأوان.

زكية: ومن جهتي أقدمها لها حسب الوصفة ابتغاء عودة عافيتها إليها.

سهيل: وهذا يعد موقفا حسنا منك لها.

(يخرج سهيل من الباب الخارجي ثم تقصد زكية باب الممر تخفت الأضواء ثم يحل ظلام على المسرح).

المشهد الثاني

-تكون مريم في البهو تمسح – فترة – يدخل سهيل تتوقف عن المسح.

مريم: سهيل لست أدري ماذا حدث لحسناء لقد أصبحت تدعي حملها قائلة: «إني حامل يا خالة زكية لا داعي لضرة لي لأنني سألد لك الأحفاد الكثيرين مثل هند وفاضلة ولا أجهض» إن ما تتفوه به لا يصدقه عقل لقد أصيبت بمس من الجنون.

سهيل: إنها الهستيريا يا خالة يصاب بها من يعاني من صراع نفسي إلى درجة سيئة.

مريم: سمه الهستيريا أو الكلام الغير معقول لكنه لا يشفى إلا برقية لأنه مس من الجنون.

سهيل: إني أحضرت لها أدوية مهدئة للأعصاب وأمرت أمي بأن تقدم لها جرعتين في اليوم.

مريم: هي الآن قربها باذلة جهدا في تهدئتها.

سهيل: إن هذيانها لا يشكل خطرا على غيرها لكن لابد لها من طبيب نفسي لأن الأدوية المهدئة لم تكن كافية في إزالة توتّر أعصابها نظرا لشدة أزمتها.

مريم: لقد كانت هادئة سابقا لكن اليوم تفاقم عليها المرَض فشرعت تهذي ولن تنقطع عنه إلا برقية ما دام الدواء لم ينفعها ولن ينفعها ولو يصف لها الطبيب النفسي عدة أدوية تظل غير نافعة لمس من الجنون، ولذا أقترح عليك أن ترقيها إن أجدادنا كانوا يلجأون إلى الإرقاء في مثل حالة حسناء فلنقتد بهم.

سهيل: إني غير مستعد على إرقائها لأنني أعلم أن حالتها مرض نفسي يشفى بأدوية مهدئة للأعصاب وبجلسات مع الطبيب النفسي لأن لا وجود لمس من الجنون بها حسب اعتقادك وبعض الناس مثلك.

مريم: إن كل الناس يعتقدون بمس من الجنون وليس البعض فقط.

سهيل: خلا الأطباء ومن أتي علماً.

مريم: أولا يعتقد الأطباء والعلماء بمس من الجنون وشفاؤه يكون بالرقية؟

سهيل: بلى.

مريم: لا أعتقد بهذا ودليلي هو أنكم تصطلحون على دعوته بالهستريا ونحن غير الأطباء العلماء ندعوه مسا من الجنون يختلف الاصطلاح بيننا لكن نتفق على وجود الداء نفسه ولا دواء له غير الرقية، وهي الوصفة المثالية التي تطرد الجن من نفسها إلى الأبد.

(تقبل زكية من باب الممر)

زكية: سهيل لقد حضرت في وقت الضرورة إليك أكلفك بالاهتمام بحسناء لقد أصيبت بمس من الجنون.

سهيل: هل قدمت لها الأدوية حسب الوصفة ولم تنقطعي عنها؟

زكية: نعم وظلت هادئة لكن اليوم شرعت تهذي بكلام لا يصدقه عقل فلم أجد مفرا من تقديم لها جرعة من كل دواء قبل الموعد فهدأت بها ولست أدري كم يدوم هدوؤها.

سهيل: قدمي لها ثلاث جرعات من كل دواء بدلا من اثنتين ريثما أحضر لها طبيب نفسي.

زكية: حسنا لكن إذا عادت إلى الهذيان أحضر لها إماما للإرقاء إضافة إلى الطبيب النفسي.

مريم: نعم الرأي منك يا سيدة زكية وإني أقترح عليه أن ينطلق إلى البحث عن إمام للإرقاء ولا يتكل على الأدوية ولو بست جرعات وكذلك الطبيب النفسي بل الرقية وحدها كافية لمس من الجنون.

سهيل: يا خالة إن مرض حسناء نفسي يشفى بالأدوية المهدئة للأعصاب مع إرشادات الطبيب النفسي وبالإضافة إلى هذين الفعلين نصرف أحاديثنا في حضور حسناء عن أزمتنا، ولا نتحدث في حضورها إلا في أمور بعيدة كل البعد عن الأزمة فتتناساها بمرور الوقت ثم تعود إلى حالتها الطبيعية.

مريم: ما دمت مقتنعا بأن الأحاديث البريئة تساهم في شفائها مع الأدوية والطبيب النفسي بعدما رفضت وصفة الإرقاء المثالية ثق بأنني ألجأ إلى الصمت المطبق، ولا يكون حديث بيني وبين أمك خلا الحديث عن شغلي وهو حديث بريء أشرع في تطبيق ما عزمت عليه الآن أمامك.

(تذهب من باب الممر).

سهيل: إن الموقف الذي اتخذته الخالة يساهم في شفاء حسناء وأريد منك يا أماه أن يكون حديثك مع حسناء بعيدا عن الأزمة مع الجميع، بل تظاهري بعدم الاكتراث بهذيانها تجده حسناء هينا لديكم فيخف عنها.

زكية: حسنا فلأفعل برأيك وأحاول قدر استطاعتي ألا يفلت من لساني كلام عن أزمتنا في حضورها ابتغاء شفائها في الأيام القادمة التي يحين فيها وقت مغادرتها إلى جهة مجهولة عندي.

سهيل: مازال مصيرها لم يتحدد وعسى أن يظل على حاله زوجة أما إذا أصبحت أختا بحقيقة العلم لو يتحقق احتمالك الذي مازلت أشك فيه ولا أعده علميا نتخذها أختا لا نفرط فيها.

زكية: لو يتحقق احتمالي يصبح مصيرها معروفا في مكان لا أبالي به أما إذا تحقق احتمال الاستبدال وهو مستبعد عندي أسلم أمرها لعقبة ليتخذ ما يليق به ولا يكون هنا.

سهيل: إن قرابتها لا تشغل بالي لأنها تظل زوجة له وإنما أخوتها لنا بحقيقة العلم فيصبح بقاؤها معنا حتما مقضيا علينا ولها حق شرعي في الإرث من هذه الدار.

زكية: لن ترث شيئا على الإطلاق لأن القانون لا يعترف بها أختا مادامت وثائقها تنسبها إلى نبيل وليس إقبال بعد فسخ الزواج الغير الشرعي.

سهيل: لكن حقيقة العلم تعترف لها بالأخوة إذا تحققت وبصفتي من رجال العلم لا أمتنع عن نسبها إلى أبينا إقبال بوثائق قانونية ثم ترث بها.

زكية: لن تنسب إلى أبيكم وإنما تظل على النسب الأول وأدفع منصور إلى اتخاذ جميع الإجراءات القانونية في بقائها على حالها إذا استندت إلى مهاترات العلم في حق نسبها وتوريثها.

سهيل: قلت لك: لا أمتنع عن نسبها إلينا بناء على الحقيقة العلمية إذا تحققت أخوتها لنا علميا وربما يكون لعقبة رأي يساند رأيي على أساس منطقي في توريث الفروع إذا كان الأصل واحدا مؤكدا علميا.

زكية: ربما يتفلسف لي بكلام فارغ مثل كلامك هذا غير أن منصور الأدرى منا جميعا بالقانون يدعها على حالها فتصبح ثرثرتكما صدى مرتدا إليكما بنص القانون الصادر عن أعراف المجتمع.

سهيل: مهما يكن نص القانون وعرف المجتمع في هذه القضية فإن للعلم موقفا ثابتا أتقبله ولو يكون مرا حفاظا على مبادئ رجل العلم الذي يكافح أعراف المجتمع الخرقاء الصادرة عنها قوانين بعمى البصيرة.

زكية: حسبي أعراف المجتمع ومهما قللت من شأنها أظل متعلقة بها لأنها سنت على اقتناع منها قوانين ثابتة ولها الغلبة على العلم والفكر تخضع الجميع لها. (يدخل منصور من الباب الخارجي). منصور إن أخاك ما برح يفكر في مصير حسناء وقد اتخذ لها موقفا حسنا إما زوجة أو أختا وقد استعد على نسبها إلى أبيكم وتوريثها بناء على الحقيقة العلمية إذا تأكدت أخوتها، لكن حديثه قد سبب لي القرف رغم أنه لم يحدث شيء منه إلى الآن.

منصور: سهيل إني رجل قانون أدري بالقوانين المشرعة عن أعراف المجتمع وليس عن حقائق العلم ومن خلالها انطلقت إلى التحقيق في احتمال استبدال المواليد أولا.

زكية: وهل تحققت منها يا منصور؟

منصور: تحققت منها فلم أجد ذكرا أو أنثى من الأعمام أو الأخوال يطابق تاريخ ميلاده بتاريخ ميلاد أب حسناء أو أمها فجزمت بأن احتمال القرابة بالاستبدال لم يحدث في المستشفى.

زكية: أرأيت يا سهيل؟ أن احتمالي يكاد يتأكد لنا ثم يصبح يقينا بعد العثور على أب حسناء لعله يكون على قيد الحياة فتتضح به الأمور.

منصور: بعد انتفاء القرابة بالاستبدال عزمت على البحث عنه وأول خطوة ينطلق منها البحث تكون في مؤسسة الضمان الاجتماعي ليؤكد لي إذ هو مؤمن فيه فأستنتج أنه على قيد الحياة وقد أجده في مكان ما.

سهيل: فرضا أنك تجده في مكان ما فماذا تقول له؟

منصور: إذا وجدته أطرح عليه قضية قرابة الدم التي أكدتها لنا العيادة وإني مازلت أشك في نتيجتها لكن لا أقاضيها بغير بينة عندي حتى تتأكد أو يبطلها أب حسناء.

زكية: بالرغم من أنه لا توجد لك بينة لكن شبه الجبهتين يعد بينة عندي في قرابة الدم.

منصور: إن شبه الجبهتين الذي تتخذينه بينة عندك تبرئين به العيادة لم يقنعني سابقا والآن كذلك بعد دحض احتمال الاستبدال.

سهيل: هكذا قلت لأمي لأنني لا أعده حقيقة علمية تثبت الأخوة لكن ما أجزم به الآن بعدما دحض احتمال الاستبدال هو وجود القرابة حقا ما دامت قد أثبتت علميا ولا أحدد جهتها مثل أمي، لكن مهما تحدد أتقبلها فيكون موقفي بعدئذ هو بقاء حسناء معنا بأي صفة لا نفرط فيها قريبة تظل زوجة وأختا نتقبلها ولو بغير وثائق قانونية.

زكية: أقنعه يا منصور بأن ما يلغط به بناء على حقيقة العلم لا يعتد بها القانون فيعدها حبرا على ورق يهمل تطبيقها.

(تذهب من باب الممر).

منصور: إنني لا أقلل من فضل الطب والعلم على البشرية فيما يتعلق بالأمراض والأوبئة الفتاكة لكن حالما تتجه القضية إلى النسب ولو يكون حدث سهوا في المستشفى استبدالا بالمواليد تنتهي مهمة العلم ثم ينطلق القانون بعدئذ للنظر فيها.

سهيل: ومهما يكن نص القانون يرفض نسبا حتى يقره المنسوب إليه فلن ينكر حقيقة العلم.

منصور: أعلم أن العيادة قد توصلت إلى حقيقة قرابة الدم فكشفت لنا بها سرا يعود إلى أكثر من خمسة عشر عاما والأصعب من المدة هو وفاة الجميع، تجعل القضية معقدة لا يكشف السر إلا بالحمض النووي منهم جميعا ذكرا وأنثى وهذا غير موفق! لكن بالبحث عن أب حسناء يسهل علينا كشف السر منه.

سهيل: إذا وجدته تتضح الأمور منه وقد تكون القرابة من العم أو الخال بفاحشة ولا تكون بالضرورة من الأب بناء على شبه الجبهتين الذي تتخذ منه أمي بينة في أخوة حسناء لنا لأنها تنطلق من غريزتها، وهي تدري بأن الصفة تورث من الجد أو الذي قبله وتعود إلى أجداد عديدين.

منصور: ماذا تقصد؟

سهيل: أقصد أن أبانا وعقبة وحسناء قد ورثوا الصفة من الأجداد فتكون القرابة بفاحشة من الأعمام وربما تكون من الأخوال لأنهم غير معصومين من الإثم ويكون الشبه من حسناء صدفة.

منصور: أو تظن أنها تكون من الأعمام أو الأخوال؟

سهيل: إني أحتملها ليس تبرئة لأبي من الإثم وإنما لكوني طبيبا أدري بأن الوراثة قد تعود إلى أجداد عديدين أو يكون الشبه بين عقبة وحسناء صدفة إذن لا تدان جهة حتى يدينها العلم.

منصور: إن إصرارك على جعل القرابة مبهمة يدفعني الموقف بهمة إلى البحث عن نبيل لعلني أجده لكن ما أخشاه هو عدم استجابته للقضية كأن يدعي أبوته لحسناء، ثم يرفض التحاليل ولا نص قانوني يجبره عليها فتتأزم الأمور.

سهيل: إني أخشى ألا تجده على قيد الحياة أما إذا وجد تسير الأمور نحو الوضوح يكشف لك سر فاحشة زوجته بهدوء ولا سيما بعد طول مدتها وهي التي أدت به إلى الاختفاء عن الأنظار حفاظا على كرامته بعدما اكتشف إثمها صدفة أو خبر عنه أو اكتشفه بتحاليل طبية كأن يكون رغب في مولود بعد حسناء وعندما لم يوفق قصد التحاليل وأكدت له بأنه عقيم، يجزم بأن نعماء آثمت فاقتضى عليه الاختفاء بأي حال إن الأمور غامضة في اختفائه بغير رجوع إلى أهله.

منصور: أو تظن أن غيابه يتعلق بإثم زوجته؟

سهيل: إني أحتمله مثلما احتملته أمي لكنها تثبت الفاحشة على أبينا غريزة فيها ولا أوافقها على الاتهام المحدد لأنني أعلم أن الوراثة بالشبه قد تعود إلى الأجداد، وفضلا عن هذا لا يكون الأخوال معصومين منه وإن قضية الصفة ليست علمية ومنطقية.

منصور: إن يكن ما احتملته أمي صحيحا فتكون القرابة من الأخوة أحتمل معكما فرضية موت أبينا وأم حسناء بجناية من نبيل ولم يكن لهما طبيعيا

ويقوي هذا الاحتمال في نفسي وفاتهما معا في السنة نفسها وأستبعد الصدفة بصفتي محاميا يدري بأن الجريمة لا تقترف بغير سبب.

سهيل: إني لا أحتمل مثلك لأن الوفاة لهما معا قد كانت طبيعية حسب علمي وفضلا عن هذا كانت بعد اختفاء نبيل عن الأنظار بسنة واحدة تبعد عنه الشك.

منصور: ومن أدراك بأنها كانت طبيعية لقد كنت في العقد الثاني من عمرك ولست طبيبا.

سهيل: إن أمي لم تخبرنا عن ألم شعر به قبل الوفاة إذا افترضت أن نبيل قد عاد بعد سنة مختفيا ودس له سما في مشروب وهو في محله بفرضية التعرف عليه وفعل لزوجته كذلك بالسم بفعلين متباعدين إبعادا للشبه فيه وما دمنا نجهل وفاتهما نظنها طبيعية مثل أغلب البشر.

منصور: إني لا أظن مثلك وإنما أحتمل الجناية ولن أهملها حتى تدحضها الدلائل القاطعة فلعلها حدثت بطريقة خالية من الألم.

سهيل: ولن تتمكن منها بالطب الشرعي حتى تدين نبيل بها ولو بسم بغير ألم لا بد لها من إجراءات قانونية.

منصور: لا ألجأ إلى الطب الشرعي لأنه لا يشرح إلا بأمر من القضاء وليست لي بينة خلا قرابة الدم وقد تكون من الأعمام أو الأخوال حسب رأيك فينتفي منهم دافع الجريمة، ولذا لا أدين حتى تكون لدي افتراضات قوية تصبح كأنها بينة على الجريمة أستخلصها من أسئلتي لأب حسناء عن سبب غيابه عن أهله بغير رجوع فلعلني أجد تناقضا في كلامه أحتمل منه أنه يخفي الفاحشة والجناية معها.

سهيل: وقد يكون الإثم من الأعمام أو الأخوال لأنهم غير معصومين منه إذن نحن أمام قضية غامضة لا يدان هذا أو ذاك حتى يدينه العلم.

منصور: وبصفتي محاميا أسعى دوما إلى البحث عن المجني عليه بالبينة المنطقية أو العلمية فيقتضي مني الموقف بأن أبذل مجهودا كبيرا في الحصول على البينة قبل أن أدين.

سهيل: وبصفتي طبيبا لا أنكر ما توصل إليه العلم إذن لا أعترض سبيلك في توضيح الأمور ولو تكون مرة علينا.

منصور: لقد تأكدت مرارتها علينا.

سهيل: تأكدت مرارتها الأدنى علينا حالما دحض افتراض الاستبدال فاتجه اهتمامنا إلى الإثم وليته لا يكون من أبينا لكيلا يكون أشد مرارة بل فاجعة.

منصور: أتمنى ألا تتحقق علينا ولو يبطل احتمال الجناية بوفاة طبيعية.

سهيل: باي حال تتضح الأمور أتقبلها وأعدها حقيقة علمية تضاف إلى رصيد الإنسانية لكنها لن تنال من عزيمتي في الاهتمام بشفاء حسناء وإني أعلم أن شفاءها يكون نسبيا في هذه الدار التي عانت الشقاء فيها لكن علاجها ضروري لها لكيلا تستمر في هذيانها حتى يفاجئنها الهلاك وتوقعا له في أي لحظة نتطبب ونعزم مثلما فعل الآباء والأجداد الذين أخنى عليهم الذي أخنى على لبد.

ينزل الستار على

الفصل الثالث

ـــــ ستـــار ـــــ

الفصل الرابع

المنظر

البهو نفسه بعد أيام تكون فيه زكية ومنصور جالسين – فترة – ينطلق الحوار .

المشهد الأول

منصور: لا جديد يا أماه بعد ما قصدت الضمان الاجتماعي وأكد لي عدم تأمينه لديه منذ أكثر من خمسة عشر عاما فأحتمل أنه هاجر أو هو ميت، لو أتأكد من بقائه حيا ولو في المهجر يدلني عليه أحد أقصده إلى هناك ولو تبعد المسافة.

زكية: أقترح عليك أن تقصد وسائل الإعلام عساه يقرأ الإعلان فيتصل بك.

منصور: إني قصدت الضمان الاجتماعي فأكد لي عدم تأمينه فيحتمل أنه يكون في المهجر أو هو ميت منذ اختفائه عن الأنظار.

زكية: خذ باقتراحي في البحث عنه بوسائل الإعلام فإنك لن تخسر شيئا بل لعلك تجده ولو في المهجر أو في الوطن غير مؤمن لظروف.

منصور: إذا كان على قيد الحياة أحتمل أني أجده بوسائل الإعلام جرائد أو أنترنيت لكن لا أتكل عليها لأني أظل منتظرا وقد يطول انتظاري ولا جواب منه إذا فعل الجناية.

زكية: إنها مستبعدة عندي لأن وفاة أبيكم طبيعية لم يشك فيها من ألم بالرغم من أنها كانت سريعة وفجائية بغير مرض ممهد لها.

منصور: إني آخذ احتمالك في وفاته الطبيعية بعين الاعتبار لكن تظل فجائيتها لنا بغير مرض محل شك مني أحتملها بجناية.

زكية: أبعد فرضية الجناية باستنادك إلى أنها كانت بعد اختفاء نبيل عن الأنظار بسنة واحدة لكنه يظل مطلوبا منا لمعرفة القرابة يقينا.

منصور: إني في أشد الحاجة لمعرفة يقينها لكي نتخلص من أزمتنا.

زكية: وماذا تفعل بعدما رفضت البحث عنه بوسائل الإعلام؟ إنه لا يعقل ببقاء الأمور غامضة وأشدها على نفسي عفتي وشرعية الزواج.

منصور: أرى أن ننطلق تدريجيا في البحث عنه بالقريب الأسهل وأوله هو أن تستفسري من أخوال حسناء عن رأيهم في غياب صهرهم الغامض ولماذا لم يبحثوا عنه وقتما فقد؟

زكية: إني استفسرت عنه سابقا بحديث بريء فوجدتهم غير مبالين بفقده وقللوا شأنه بموافق أختهم نعماء حيث كانت غير مهتمة به لإعتقادها في أنه إذا كان على قيد الحياة سيعود من تلقاء نفسه أما إذا قرر الغياب بغير رجوع يصبح البحث عنه عبثا وإذ يكون متوفيا فلا فائدة من وجوده وبهذه الحجج أهمل البحث عنه.

منصور: لكن ظروف أختهم وابنتها في كفالتهم تهمهم بالرغم من أنهم ميسوري الحال لا تعد إعالتها مع ابنتها لهم ذا أهمية ولا سيما عندما كانت مع أبويهم قبل وفاتهما بعدها لكن ظروف أختهم بزوج غائب عنها بغموض يشغل بالهم وله حل قضائيا بالانفصال إذا امتد الغياب أكثر من سنة فيحق لها الزواج ثانية فيريح بالهم.

زكية: أظن أن وجودها كان مريحا لهم بدليل عدم البحث عن صهرهم بحجج أختهم أو بغيرها لأنها كانت مع أبويهم لها حق شرعي في

المأوى، وفضلا عن هذا لم تكن عاطلة عن الشغل اتخذوها كأنها خادم ولذا لم يهتموا بفقد صهرهم.

منصور: أو تظنين أن عدم البحث عن صهرهم يعود إلى قلة شأنه بحجج أختهم؟ أو اتخذوها خادما بغير أجر كأنها أمة بالرغم من وجوها مع أبويهم إن هذا الموقف منهم جميعا يعد عندي لغزا.

زكية: وما تظن في موقفهم؟ بصرف النظر عن حجج أختهم واقتناعهم بها قصد شغلها في بيت واسع يستحب فيه يد عاملة إضافية، إني أستغربُ موقفهم قبلك لكنني استخلصت فائدة شغلها بفقد صهرهم.

منصور: أظن أن موقفهم من عدم البحث عنه غير ناتج من حجج أختهم الواهية إذا محصناها بمنطق سليم ولم يروا نفعا في خدمتها وإنما هناك أمر سري أخفوه عنك.

زكية: وما تظن في الأمر السري؟

منصور: إنه مجرد احتمال لكن وروده قوي في نفسي بناء على معرفتي بقضايا المحاكم إذا عللت احتمالي بأنهم قد علموا سبب الغياب بغير رجوع نتيجة فاحشة أختهم، ولذا ادعوا قلة شأن غيابه أدى بهم إلى عدم البحث عنه بحجج أختهم الواهية، ولعلها لم تصدر منها وإنما ابتكار منهم لإخفاء الفضيحة وقد يكون صهرهم قد أطلعهم عليها.

زكية: ربما يكون احتمالك موردا كثيرا ولا سيما بعلمي في أن حسناء قد كانت مهملة لديهم، وبالإضافة إلى هذا هو موافقتهم على طلب يدها لأول وهلة وبشروط زهيدة كأنها عانس معللين موقفهم بأن زواج يتيمة حصانة لها في بيت يأويها.

منصور: (يقوم) أماه أريد منك أن تحيي قضية غياب صهرهم لأن لا مبالاتهم بالبحث عنه بحجج واهية لم تقنعني، وإني أشك في صدورها منها وبالإضافة إلى هذا هو قبول طلب يدها بمهر زهيد كأنها ثيب.

زكية: (تقوم) أحاول إثارة هذه القضية لكن أعتقد بأنني أجد الموقف نفسه الذي سمعته منهم سابقا أو يكون غيره لكنه يصب في اللامبالاتهم بالبحث عن صهرهم أو يعدون قضية الغياب قد تناسوها بوفاة أختهم

منصور: إذا وجدتهم غير مبالين بلغز الغياب أقترح عليك أن نقدم قضية قرابة الدم إلى العدالة طالبين انفصال حسناء عن عقبة بحجة استحالة الإنجاب القويم بينهما نظرا للقرابة.

زكية: إني أرى أن تنطلق إليها منذ الآن ولا تكلفني مشقة الذهاب إليهم لكن ما يشغل بالي هو ثبوت عفتي قبل الانفصال.

منصور: ستكون أفعال لاحقا إذا مالت أغلب ظنوني إلى فرضية الجناية فتكون تحاليل من أبينا لمعرفة البصمة الوراثية وإذا تحققت القرابة منه يتأكد لنا دافع الجناية حقا.

زكية: فلتكن تحاليل من أبيك لكنْ بغير فرضية الجناية ولو فرضا أنهم خبروا عن فضيحة أختهم من صهرهم بل اتخذوا أزمتنا كأنها لا تعنيهم.

منصور: لا تعنيهم !!

زكية: نعم ووجد منهم من تبرأ من حسناء وأعلن رأيه لي مواجهة ولا يحق لها الرجوع إليهم قريبة تظل زوجة وأختا نكون نحن أولى بالتكفل بها.

منصور: إن ما يشغل بالي ليست القرابة بأي صفة وإنما موافقة طلب يدها وهم يخفون إثم أمها.

زكية: لعلهم لم يخبروا عنه.

منصور: لا أتخذ قراراً قبل أن تكون لدي بينة واضحة لكن إذا أحيينا قضية اللامبالاة بالبحث عن صهرهم وظلوا يقللون من شأنه كأنه فعل هين عندهم رغم أنه واجب عليهم أجزم بأنهم قد أخفوا عنك فضيحتهم.

زكية: ما دمت قد شككت في إخفائها أعتقد بأنهم يزدادون إهمالا لأزمتنا وقد عدوها انتهاكا لكرامتهم حيث قال لي: يزيد خال حسناء «لولا المصاهرة التي مازلت أحافظ على استمرارها لرفعت دعوة قضائية في انتهاك كرامتنا».

منصور: أتجرأ على هذا اللغو كأنه يعدنا هازلين؟

زكية: إنه لم يتخذنا هازلين لأنه لا يكون منا الهزل في مثل هذه الأمور الخطيرة وهي بتحاليل علمية أثارت لنا شكا في النسب لكنه برر أخته وهو مسلم بقضية قرابة الدم فاستنتجت أنني المتهمة في نظره.

منصور: لا تستنتجي هكذا لأن القرابة قد تكون من الأعمام أو الأخوال فتكون حسناء قريبة منهم ولا تلقي بالا على ادعائه بعفة أخته.

زكية: لقد ادعى عفتها لكونه يريد منا أن نهمل الأزمة لكيلا يظهر اليقين الذي يخشاه لو تكون أختهم هي التي انتهكت كرامتهم بأي حال لا يستبعده.

منصور: لكن ما يجب علينا أن نفعله بعدما وصلت الأمور إلى طريق مسدود لا أثر لأب حسناء ولا موقف مشرف من أخوالها يوصلنا إلى معرفة النسب الحقيقي.

زكية: أرى أن تقدم نتائج التحليل إلى المحكمة مثلما اقترحت طالبين معرفتها يقينا فيفصل فيها القانون إذا ادعينا بأن القرابة قد تكون من الأخوة بناء على الشبه بينهما.

منصور: إن ما يتخذه القانون إذا ادعينا القرابة من الأخوة هو موافقته على الانفصال بين الزوجين فقط لأنه باطل من محرم.

زكية: لكنه يتخذ هذا الحكم بغير بينة.

منصور: نعم لأن البينة تكون من أبينا بالحمض النووي D.N.A. وبما أنه في القبر منذ عقد ونصف تلجأ المحكمة إلى الإجراء السهل فتقضي بالانفصال فقط.

زكية: لكن لو تطالب بالتحاليل من أبيك توافق عليها العدالة وتكون بينة لها.

منصور: لن توافق عليها من أجل الانفصال فقط اللهم إلا إذا طرحت قضية القرابة وقضية الجناية تكون تحاليل لمعرفة في إذ يكون المتوفي مجنيا عليه، غير أنني لا أدين الآن حتى يميل أغلب ظني إلى فرضية الجناية في الأيام القادمة.

زكية: وماذا تفعل الآن؟ بعدما وصلنا إلى طريق مسدود.

منصور: أرى يا أماه أن نؤجل القضية إلى وقت قادم لعلني أرجح الجناية لكن إذا كان أغلب ظنك يرجح القرابة من الأخوة يقدم عقبة طلب الانفصال وستقضي به المحكمة بسهولة لأن الزواج باطل من محرم.

زكية: إن الانفصال لا يشغل بالي لأن حسناء ستطالب به في الأيام القادمة بعدما عادت إليها عافيتها ولعلها تكون الآن منشغلة به وسأدفعها إليه دفعا، وإنما ثبوت عفتي لأنني أظل محل شك واتهام من الغير.

منصور: أهملي شك الناس فيك باقتناعك النفسي في أنك عفيفة وثقي بأنه يتبدد بمرور الوقت ما دامت لا توجد لهم بينة عليه.

زكية: إن رأيك هذا لم يعجبني رغم أنني أشعر بعفتي لكن تظل فئة تشك في ولا ينتزع الشك من نفسها إلا بالحمض النووي فتظهر عفتي يقينا.

منصور: لكنه الآن في القبر ولن يأمر القضاء بالتحاليل منه لأجل عفتك فقط لكنه يوافق على الانفصال بحجة استحالة الإنجاب القويم من القرابة أو بحجة بطلان الزواج من محرم، ولذا أرى أن يحدث الانفصال ولا يهمنا مصير حسناء المجهول لكن تظل فرضية الجناية حية في نفسي لا أهملها.

زكية: ظننت أنك تدفع القضية إلى المحكمة لإثبات عفتي فإذا بك تقتصر على الانفصال فقط كأن عفتي أصبحت لا تعنيك وتشغل بالك بقضية الجناية وهي الأهم عندك.

منصور: أعلم أن القضية خطيرة أثارت لنا شكا في النسب لكنه صعب التعرف عليه لأن الذين حام حولهم الشك هم الآن في القبر جميعا أخنى عليهم الذي أخنى على لبد فأصبحت التحاليل منهم مستحيلة أو تكاد.

زكية: إني لا أطالب بالتحاليل منهم جميعا وإنما من أبيك فقط لإثبات عفتي فقط.

منصور: قلت لك: آنفا لن يوافق القضاء على التحاليل منه لأجل إثبات عفتك فقط اللهم إلا إذا ادعينا موت أبينا بجناية بناء على نتيجة العيادة والشبه واختفاء نبيل فيأمر القضاء بنبش قبره للتعرف على الحقيقة.

زكية: إني موافقة على نبش قبره ولو بفرضية الجناية المستبعدة عندي لأن وفاة أبيكم كانت طبيعية وبعد اختفاء نبيل بسنة واحدة، لكن من أجل إثبات عفتي بالتحاليل أنساق معك إلى احتمال وفاته بجناية ولم تكن طبيعية.

منصور: أو تظنين أنها كانت غير طبيعية ولو بالقليل؟

زكيـة: حسب أغلب ظني كانت طبيعية لأنه لم يشك من ألم قبل الوفاة لكن فجائيتها بغير مرض ممهد لها أحتمل الجناية معك بسم لم يطلعني على ألمه منه أو لم يشعر به.

منصور: إليك رأيي الأخير في قضيتنا وهو موافقتي على تقديمها إلى العدالة ونحن ندعي بأن موت أبينا لم يكن طبيعيا كشفت لنا سره العيادة بقرابة الدم وتكون من الأخوة بناء على الشبه، ثم نعزز الادعاء باختفاء نبيل عن أهله ولا يدل إلا على الجناية أعتقد بأن القضاء يفصل في الاتهام فيأمر بنبش القبر، لكن لا أقدم الدعوة إلى العدالة حتى يوافق عليها سهيل وعقبة توقعا لبطلانها فنتحمل التعويض عن الاتهام جميعا.

زكية: ثق بأن سهيل يكون المرحب الأول بها للتأكد من قرابة الدم علميا.

منصور: ربما يوافق لكن شكه يميل إلى القرابة من العمومة أو الخؤولة وليس من الأب فيجعله يتردد في الموافقة وقد لا يفعل لأنه يستبعد الجناية.

زكية: سأقصده حالا إلى بيته قبل نهار الغد لأحصل منه على موافقته بعد ان أوضح له أن الأعمام والأخوال جميعا قد توفوا قبل ولادة حسناء ما عدا عم واحد وخال واحد كذلك، لكنهما توفيا قبل اختفاء نبيل عن الأنظار بسنتين أو أكثر فيستبعد موتهما بجناية.

منصور: لكنه يحتمل القرابة منهما.

زكية: ولا ينكر احتمال القرابة من أبيه كذلك.

منصور: نعم وقد يحتمل الجناية كذلك مثلي إذا أطلعته على أن وفاة أبينا قد كانت فجائية لم يشك لك فيها من مرض، وبصفته طبيبا يحتمل الجناية بسم بغير ألم لوفاة فجائية طبيعية التي هي الآن محل اقتناع منه بأنها كانت بغير جناية.

زكية: سأوضح له الأمور وكلي يقينا بأنه يحتمل الجناية ما دامت الوفاة فجائية فيستعد على رفع القضية إلى المحكمة، ولعله يكون أشد منا طلبا بها لأنه يتحقق علميا من قرابة الدم والوفاة معا ولن يكون عقبة رافضا لأنه أصبح محل شك في نسبه وبموافقتنا تثبت عفتي.

منصور: حسنا حسنا لك ما ترغبين فيه سلاما.

(يخرج من الباب الخارجي وزكية تنادي مريم).

زكية: مريم... مريم (تظهر مريم) إني ذاهبة إلى بيت سهيل وسأعود بعد ساعة من الزمن انتظريني ولو ينتهي وقت شغلك قبل عودتي، لأنني أصبحت لا أتكل على حسناء نظرا لأزمتنا رغم عودة عافيتها إليها بفضل الطبيب النفسي.

مريم: حسناً سأنتظرك ولا أترك البيت خاليا من أي أحد وإن حسناء غير موجودة فيه.

زكية: لعلها تكون في الحديقة.

مريم: إنها غير موجودة فيها وكذلك في الغرف.

زكية: هل أنت متأكدة من عدم وجودها في البيت؟

مريم: نعم لأنني بحثت عنها في الغرف وفي الحديقة وألقيت نظرة على البهو وقتما كنت فيه مع منصور على انفراد به فتأكدت بأنها غير موجودة في البيت والحديقة.

زكية: إذن خرجت من باب الحديقة إلى الشارع ولم تطلعني على خروجها ولم يسبق لها هذا من قبل.

مريم: ربما قصدت عدم إزعاجكما وأنتما على انفراد بحديث خروجها ويا حبذا لو أطلعتني عليه لأستشرتها فيما إذ يكون لها ثياب تريد غسلها وهذا هو قصد بحثي عنها لكنه غير مهم.

زكية: لست أدري بقصد خروجها دون علمي لكنه غير مهم عندي الآن ولو يكون إلى بيت أخوالها ولن تجد منهم إلا الإهمال وقد يرفضون زيارتها لهم.

مريم: أتمنى أن تكون خرجت للتجوال راحة لبالها زيادة لعودة عافيتها التامة إليها.

زكية: لا أكترث بقصد خروجها من غير أن تطلعني على قصدها منه لأنني أعلم أنه يكون لها خروج من هذه الدار إلى الأبد في الأيام القادمة.

مريم: لعلها تتراجع عن طلب انفصالها عن ابنك.

زكية: مريم إن أغلب ظني يتجه إلى أخوتها بعقبة لا يفصلني يقيني عنها إلا أيام معدودة تتم فيها التحاليل من زوجي.

مريم: لكنه الآن في القبر.

زكية: سينبش عنه بإذن من المحكمة.

مريم: ينبش عنه!!

زكية: نعم لإثبات عفتي وإلا أظل محل اتهام من النسوة.

مريم: ثقي بأنني لم أشك في عفتك على الإطلاق ودليلي هو حرصك على شرعية الزواج رغم أنني مازلت أعد ما لغطت به العيادة لا أساس له من الصحة، لا يدركه مثلي إلا من يكون قلبه مفعما بالإيمان اجعليه يملأ قلبك يقدك على الصراط المستقيم.

زكية: إنه يملأ نفسي لكنني لا أستطيع به أن أخرس الألسنة التي تلحد بعفتي ولا يخرسها إلا الدليل القاطع بالتحاليل.

مريم: اصرفي انشغال بالك عنهن بقولك «حسبي الله ونعم الوكيل» تشعري براحة بال تعم نفسك وإن لم يكن الإيمان بلسما للنفوس فأي شيء يشفيها من حيرتها.

زكية: إني لا أخالفك الرأي لكن لن أتراجع عما عزمت عليه حتى تظهر عفتي في أنني كنت زوجة وفية لإقبال بالدليل العلمي.

مريم: وقد تثبت التحاليل إخلاص زوجك لك كذلك عندما تتم وكلك إيمانا.

زكية: لا يهمني إخلاصه لي قدر ما يهمني إخلاصي له ولو ببطلان التحاليل الأولى حسب رأيك.

مريم: إذن بيتي إخلاصك له في نفسك على أساس شعورك به نفسيا تنالي راحة بالك لكن ظلي حريصة على الدين وليس على التحاليل.

زكية: إن الدين الذي ما برحت حريصة عليه لا يقنع غيرنا بعفتي وما يقنعهم هو الدليل القاطع بالعلم وهذا هو قصد ذهابي إلى سهيل انتظريني.

مريم: حسنا لك ما ترغبين فيه مني وأنا في انتظار عودتك أترجى لكم جميعا الخلاص بالدين، ولعله يكون بشرى حسنة يبشرك بها ولدك كأن تكون التحاليل الأولى باطلة فلا داعي للثانية.

زكية: أتمنى أن أجد بشرى حسنة عنده ولو تكون في عثورنا على أب حسناء فتتضح الأمور به ولا نضطر إلى التحاليل ثانية.

مريم: وهذا الرجاء لا غبار عليه لأنه يدحض أباطيل العيادة فتهدأ النفوس بتأكيد شرعية الزواج وهو غايتنا.

زكية: فليكن شرعيا لكن علميا فيبدد معضلتنا.

مريم: بل يبددها الدين وبه خلاصنا.

(تخرج زكية من الباب الخارجي ترفع مريم يديها للدعاء ثم تختفي من باب الممر تخفت الأضواء تدريجيا حتى يحل ظلام على المسرح، ثم تضاء تدريجيا على المشهد الثاني بعد شهر).

المشهد الثاني

المنظر:

البهو بعد شهر تكون فيه زكية جالسة على أريكة هادئة البال -فترة- تقبل هند من الباب الخارجي.

هند: عمي مساء يا خالة.

زكية: أهلا هند ألك أخبار من منصور عن حسناء؟ إني إلى حد الآن لا أدري بوجودها في أي مكان منذ فرارها من البيت لشهر خلا.

هند: لا أدري بشيء من منصور عنها بعدما أصبحت محل بحث من الشرطة لإتمام التحقيق بالتحاليل منها، فإذا أثبتت أخوتها لعقبة يستخلص البحث أن نبيل هو مقترف الجناية بدافع الثأر ثم يبحث عنه للتأكد منه.

زكية: **(تقوم)** كان اعتقادي سابقا في أن زوجي قد مات ميتة طبيعية ولولا شك منصور فيها لما تبين لنا أنه مات مسموما بأي حال ظهرت عفتي بالدليل القاطع، حالما تمت منه ومن عقبة تحاليل علمية تثبت الأبوة حقا وهذا ما حرصت عليه بشدة قبل أخوة حسناء لعقبة.

هند: إن الشرطة لم تهتم بإثبات عفتك أو جهة القرابة وإنما كان قصدها من التحاليل معرفة دافع الجريمة.

زكية: وكلي يقينا بأن نبيل هو مقترفها ثأراً له.

هند: إن التحقيق لا يتهمه باقترافها حتى تتم التحاليل من حسناء فإذا تأكدت أخوتها بعقبة علميا يجد دافع الجريمة.

زكية: وسوف تتأكد أخوتها فيستخلص البحث دافع الجريمة من نبيل ثأراً لكرامته.

هند: إذا تحققت الأخوة يرسو البحث على دافع الجناية ثم تكون إجراءات قانونية للبحث عن نبيل لأنه يصبح متهما بها.

زكية: وكلي يقينا بأن الاتهام يتأكد عليه وليس على غيره بعد ثبوت الأخوة.

هند: وقد لا يتأكد عليه إذا قدم حججا تبعد عنه الجناية كأن تكون وقتما حدثت الجناية كان خارج الوطن أو في مكان بعيد جدا عن الجريمة، بفرضية معرفته لفاحشة زوجته أما إذا جهلها يصبح بريئا لأنه لا دافع له إلى اقترافها.

زكية: ربما يدعي جهله بفاحشة زوجته إبعادا للإتهام بالجناية لكنه يسأل عن سبب اختفائه عن أهله مدة عقد ونصف، ولا حجة له فيه فيستنتج البحث من ادعائه بجهل فاحشة زوجته إخفاء الجناية ثم يدينه بها.

هند: إننا إلى حد الآن لا ندري كيف تصير الأمور وربما لن تعثر الشرطة على نبيل.

زكية: وإن لم تعثر عليه فماذا تفعل؟

هند: قد تعلق البحث إذا أثبتت الأخوة أو ربما تتجه إلى فرضية الجناية بدافع المال ولا تنسي أن زوجك قد كان تاجراً.

زكية: بالرغم من أنني أعلم أن زوجي كان تاجراً ومحله بيع بعد وفاته غير أنني أستبعد الجناية بسبب أحقاد تجارية.

هند: لكن البحث يحتملها ولا سيما بين التجار وهو يعلم أن الجنايات التي تحدث بسبب سلب المال تفوق التي تحدث بسبب انتهاك العرض.

زكية: إنه لا يهمني دافع الجناية الآن ومرتكبها مادام زوجي في القبر بالرغم من أنني أدين بها نبيل ثأرا لكرامته، ولا أكترث إن لم يعثر عليه بعدما عثرت التحاليل على عفتي فأستطيع بها أن أرفع رأسي أمام أخوال حسناء والناس كافة ولو تثبت أخوة حسناء بعقبة.

هند: وإذا أثبتتها التحاليل ولا حبذا هذا ما يكون موقفك اتجاهها؟

زكية: أي موقف؟ يكون لي بعد الأزمة التي أوقعنا فيها موت زوجي وأمها غير استمرارها في التشرد الذي اختارته من تلقاء نفسها منذ شهر مضى، لأنها رأته مصيرها الوحيد لها ولو لم يدخلها البحث في القضية لقلت لك إني لا أحتمل رؤيتها إلى آخر حياتي.

هند: كنت متوقعة هروبها من البيت بعدما حدثت أزمتنا غير أنني استغربت لماذا لم يبحث عقبة عنها أكان بدافع منك أو اتخذ هروبها حلا لانفراج الأزمة؟

زكية: إني لم أدفعه إلى إهمالها وإنما اتخذه من تلقاء نفسه وعده منطقيا.

هند: منطقيا!!

زكية: نعم لأن هروبها كان بمحض إرادتها فقابلها بإهماله لها قائلا لي: حسب أفكاره القاتمة «لقد حلت معضلة الإجهاض بمعضلة الانفصال عني ويا حبذا لو أطلعتني عليه لما رفضته لها، لأنني حذرتها من سوء العاقبة إذا تمت التحاليل لكنها رأتها واجبة علي وحجة دامغة للبرهنة على أفكاري، ولو اقتنعت بها من غير بينة لما آلت إلى التيه وليته يكون خفيفا على نفسها».

هند: كلنا كنا نجهل العاقبة القاتمة ويا حبذا لو اقتنعنا بأفكار عقبة التشاؤمية لما اكتشفنا سر قرابة، وليتها تحد عند العم أو الخَال ولا تجتازهما إلى الأب نفسه.

زكية: إني أصبحت أتوقعها سوداء كسواد غراب البين ويقوي في نفسي هذا الاحتمال شبه الجبهتين والجناية.

هند: هكذا يظن منصور لكن سهيل مازال يتخذ الأمور غامضة ولا يقر بشيء حتى يؤكده العلم..

زكية: له أراؤه ومواقفه العلمية ولا ألتزم بها وكذلك منصور وإننا نرفض عودة حسناء إلى هذه الدار لأن لا حق لها في الإرث إذا ما عثرت عليها الشرطة وتأكدت أخوتها لهم.

هند: أتمنى أن لا تكون أختا لهم ليس بدافع حرمانها من الإرث وإنما بدافع إبعاد الفاجعة عنا.

زكية: لكن لو تمنطقان الأحداث وتسلسلها تجدانها تصب في القرابة من الأخوة إما بالشبه وإن يبطل حسب احتمال سهيل فلن يبطل احتمال الأخوة بالجناية التي تأكدت علميا وهذا ما يراه منصور.

هند: إني تخليت عن رأي منصور وملت إلى رأي سهيل في أن تكون الجناية بدافع المال وليس بدافع الثأر فلا تتأكد الأخوة.

زكية: لن أظل في حيرة منها بعدما تأكدت عفتي علميا للجميع فيعذرونني في رفض حسناء في هذه الدار. (يدخل سهير من الباب الخارجي) ألك أخبار عن حسناء يا سهيل؟

سهيل: أماه استمعي إلي جيدا قبل أن أطلعك على أخبار حسناء لأنني أريد منك أن تظلي متشبثة بحقيقة العلم التي أظهرت عفتك، بعدما انسقت معك ومع منصور إلى فرضية الجناية رغبة مني في معرفة عفة أمي أولا وثانيا للتأكد من فرضية الجناية.

زكية: لقد تيقنت من عفتي والجناية بحقيقة العلم ولم تكن تهمني صفة وفاة أبيكم وإنما صفتي أمام الجميع.

سهيل: وحسنا فعلت ولذا أريد منك أن تظلي على صفتك فإذا أكد العلم أخوة حسناء لنا تصبح أختاً لها ما للأخت دون اعتبار لما حدث.

زكية: أما زلت مصرا على أرائك في توريثها؟

سهيل: نعم ولا شيء غير توريثها بعدما أصبحت أتوقع أخوتها لنا بناء على تسلسل الأحداث.

زكية: ستظل على حالها ولن تغير وثائقها باتفاقنا ولن ترث شيئا وها هي هند لا تخالفني الرأي.

هند: يا خالة إن القضية قد أصبحت تتعلق بنسب بين الأخوة وأمهم ولذا لا يكون لي رأي وإنما ألتزم بالحياد مثل فاضلة.

زكية: لكنك زوجة منصور وهو غير موافق على نسبها.

هند: أقول لك: صراحة إنني اتفقت مع فاضلة على ألا يكون لنا رأي في النسب رغم اختلاف زوجينا فيه.

سهيل: هكذا أريد موقفها تلتزم بالحياد.

هند: ولي كذلك رغم أنني أعلم أن القانون يتركها على نسبها الأول.

زكية: كلنا نرى هذا خلا سهيل بينما عقبة مازال لم يظهر موقفه منها إذا تحققت أخوتها.

هند: أتمنى ألا تتحقق وعلى هذا الأمل أغادركما راجية تحقيقه (تخرج).

سهيل: أماه إن الأزمة تقترب من نهايتها بعدما عثرت الشرطة على حسناء وأخذت منها عينات للتحاليل ثم خلت سبيلها وقد يكون بطلب منها.

زكية: وأين وجدتها؟

سهيل: لست أدري ولست أدري بمكانها الذي قصدته بعدما خلت سبيلها الشرطة.

زكية: إن عقبة لم يخبرني عن عثور الشرطة عليها.

سهيل: لعله قصد عدم انشغال بالك بها حتى تتم الأمور.

زكية: ولن أهتم بها وأنا أعلم أن نص القانون يتركها على حالها ولن تنسب ثانية وما كان غرض البحث عنها إلا للتأكد من أخوتها ليستخلص دافع الجناية وليس حقيقة النسب.

سهيل: نعم ولا نص قانوني ينسبها إن لم تطالب به على أساس حقيقة العلم لكن العلم يعترف لها به، وبما أنني من رجال العلم إذن يكون حتما مقضيا علي أن أدافع عن مبادئ العلمية.

زكية: ثق بأنها مهملة بنص القانون وعرف المجتمع فيقتضي مني الحال امتثالا له أن أترك حسناء على نسبها الأول ويعزز موقفي نص القانون ومنصور كفيل بقراءته عليك من ذاكرته.

سهيل: أجل لكن نص القانون وعرف المجتمع اللذين تستندين إليهما لا ينكران نصيبي من الإرث في هذه الدار فإذا حرمت حسناء من حق لها فيها قانونيا وعرفيا أمكنها من نصيبي.

زكية: سأظل رافضة نسبها إلى أبيكم فلا ترث شيئا وأعد تنازلك عن نصيبك عقوقا لوالديك.

سهيل: ولن أتخذ موقفي عقوقا لك لأنني لم أرفع قضية نسبها في المحكمة ولو على أساس حقيقة العلم وإنما وجدت حلا لإيوائها.

زكية: لكن وجودها معي وأنا رافضتها يعد عقوقا منك لي رغم أنه تنازل وليس توريثا.

سهيل: نتفادى وجودها معك ببيع هذه الدار فيكون نصيبي منها هبة لحسناء تشتري به مسكنا متواضعا يأويها ولا تظل متشردة بعدما خلت سبيلها الشرطة فلم تجد بدا من التشرد بعدما علمت أنها غير مرغوب فيها منك ومن أخوالها بل أصبحت مطرودة منكم.

زكية: هذا لا شأن لي به من أخوالها إن رفضوا عودتها إليهم في استطاعتها تأجير مسكن لها من عملها ولو يكون في البيوت خادمة.

سهيل: إني عزمت على أن أجد لها مأوى ولو من نصيبي فلا تضطر إلى الكراء من أجرة عملها أتوقعها زهيدة لا تسع غذاءها والكراء.

زكيـة: هـذا لا شـأن لـي بـه ولتواجـه مصـيرها، (يـدخل منصـور مـن البـاب الخـارجي) منصـور إن أخـاك مـا زال يصـر علـى توريث حسناء وإن لـم يوفق يمنح نصيبه من هذه الدار إليها بعدما تباع.

منصور: سهيل إني أدري بأن لك نصيبا من الإرث معنا يؤكده لك نص القانون وعرف المجتمع لكنني أعد هبته لحسناء مخالفة لأمك ولي.

سهيل: ولا تنكر أن الهبة مباحة ولها نص قانوني.

منصور: أجل لكن تغضب أمك عليك.

زكية: نعم إن لم يتراجع عما عزم عليه.

سهيل: لن أتراجع عمـا عزمـت عليـه لأننـي أتوقـع أخوتهـا لنـا مـن خـلال تسلسل الأحداث ولذا أضـحي بنصـيبي لهـا، لأننـي لا أرى لهـا نصـيبا تنالـه فتظل متشردة إن لم أنقذها منه بهبتي لها.

منصور: ألا تعد موقفك هذا شقاقا في البيت؟

سهيل: ليس شقاقا.

منصور: بل عينـه وإن لـم تـره مثلمـا تظـن فكيـف تـؤول تفريـق جمعنـا ببيـع هذه الدار؟

سهيل: فرضا أن موقفي تعده تفريق جمعنا لكنك تغض البصر عن تفريق جمعنا بإهمال أخت لنا يثبتها العلم، وحفاظـا علـى مبـادئ رجـل العلم فلن أهملها ولو بنصيبي معكم وإن تعده شقاقا منـي فلن تنكر شقاقكما فـي تفريطكما في أخت لنا.

منصور: وما هو رأي أمي؟ بعدما سمعت رأي سهيل جهاراً يصـف موقفنـا فـي رفض توريث حسناء بالشقاق فقابلنا بمثله.

زكية: رأيي هو ألا تباع هذه الدار ولن تعود حسناء إليها بأي صفة قريبة أو أختا ولا أعد موقفي شقاقا وإنما التزام بعرف المجتمع.

منصور: لكن سهيل يصر على الاستخفاف بعرف المجتمع ولا يقيم له وزنا من أجل مبادئه العلمية.

زكية: وأنا كذلك مستخفة بمبادئه العلمية وغير ملتزمة بها لوجود مأوى لحسناء لأنها منسوبة إلى نبيل وليس إقبال، فلا حق لها منه في الإرث فإذا أصر سهيل على توريثها من نصيبه أعده عقوقا لي وشقاقا لنا.

سهيل: إني مقتنع بأن موقفي ليس عقوقا لك أو شقاقا في البيت إذا تحققت حقيقة العلم في نسبها إلى أبينا، وإن يعد شقاقا أعده شقاقا بشقاق لتظل اكتشافات العلم جارية.(يدخل عقبة من الباب الخارجي) هاهو عقبة لا يخالفني الرأي في أن نجد لحسناء حلا ولا تظل متشردة ولو من نصيبي في هذه الدار.

زكية: سأظل مخالفة رأيك ومستخفة بحقيقة العلم التي تورث حسناء معنا مادامت معزولة بنص القانون ويتخذ حقيقة العلم حبرا على ورق.

سهيل: إن حقيقة العلم هي التي أثبتت عفتك يقينا وقد ألححت عليها سابقا من أجلك لكنك الآن تستخفين بها لكيلا تنال حسناء شيئا معنا في هذه الدار، إن هذا الموقف منك أعده أخرَقَ ولذا أريد منك أن تضربي عرض الحائط بعرف المجتمع وتقرري حالا بامتثالك لما يقره العلم وإن لم تفعلي أفعل ولا أهتم بعرف المجتمع.

زكية: واهتمامي كله يكون به ولن أتخلى عنه ولن تسمع مني إلا رفض عودة حسناء إلى هذه الدار،، ومتخذة منح نصيبك بعد البيع عقوقا لوالدتك.

سهيل: وما هو رأي عقبة؟ بعد أن أؤكد له بأنني مصر على مؤازرة حسناء بدافع مبادئ العلمية فاقتضى مني الموقف بأن أهب نصيبي لها إن تحرم عرفيا وقانونيا.

عقبة: أرى بعد الذي حدث منها أنها لم تعد زوجة فتركتها تواجه مصيرها الذي آلت إليه، بعدما حذرتها من تحقيق الوهم مثلكم لكنها رغبت في الإنجاب القويم بالطب.

سهيل: لو لم تكن قرابة بيننا لاستقام حالها بالطب وبما أنها تحققت علميا ومن خلال الأحداث أتوقعها أختا لنا.

عقبة: فلتكن بحقيقة العلم لكنها تصبح معضلة أخرى لنا وهي حق توريثها ولذا لا يكون لي موقف في قضيتها وإنما أتركها تواجه مصيرها وأراه التشرد.

سهيل: إني عزمت على أن أنقذها منه ولو بنصيبي.

عقبة: هذا شأنك ابتغاء ما أفسده العلم لكن القانون لا يرى لها حلا وإنما يدعها تواجه مصيرها.

منصور: نعم لأن لا نص قانوني يورثها مادامت منسوبة إلى نبيل، ولا نص قانوني ينزع منه النسب وينسبها إلى أبينا وهو ميت بناء على حقيقة العلم إذن يظل ظرفها معلقا بغير حل.

سهيل: بل تعد هبتي لها حلا.

عقبة: بل هي انفراج لها وليس حلا كاملا لها لأنها تظل مرفوضة النسب ويعقبه نزاع بينك وبين أمي اللهم إلا إذا زهدت في هذه الدار مثلك.

زكية: ولن أزهد فيها ولا نص قانوني يجبرني عليه.

سهيل: وسأزهد فيها ولا نص قانوني يمنعني عنه.

عقبة: هذا زهد فردي منك وليس جماعيا لتجد حلا لمعضلة حسناء التي أوقعتها فيها حقيقة العلم فاضطرتك إلى التضحية بنصيبك.

سهيل: وإن لم يضح رجل العلم بما يملك ابتغاء حقيقة العلم فلن يكون فضل للعلم على البشرية إذن لحسناء مما أملك قبل أن يسفر العلم عن حقيقتها.

عقبة: وما يسفر عنه يعترضه عرف المجتمع ونص القانون.

سهيل: لكن تظل اكتشافات العلم مستمرة.

عقبة: وتظل تثير نزاعا اللهم إلا إذا قوبلت بزهد فيها ولن تزهد فيها الأغلبية الساحقة من الناس وأمي واحدة منهم.

زكية: أجل لن أتخلى عما أملكه عرفيا وشرعيا.

منصور: يثبته لك القانون ولو بالقوة.

عقبة: إذن يظل النزاع متكررا ولا خلاص لنا منه إلا بوقف الإنجاب.

سهيل: ولن توقفه الأغلبية من الناس لكنهم يظلون آملين الخلاص بالعلم.

عقبة: بل الوهم.

سهيل: بل الخلاص سلاما (يخرج من الباب الخارجي).

عقبة: قرروا ما شئتم وافعلوا وفقا لما تعتقدون به فقد قررت وفقا لأفكاري أن أترك كل واحد منكم يواجه مصيره بما فيكم حسناء.

زكية: لقد أصبح مصيرها التشرد لأنها مرفوضة مني ومن أخوالها.

عقبة: وقد اختارته بمحض إرادتها بل ظروفها دفعتها إليه فلتتحمل وهم رغبتها لأنها تفاعلت في تقويم الأجنة مثلكم سلاما.

(يختفي من باب الممر).

منصور: أماه إن عقبة لا يفكر في أن يجد لحسناء حلا وإنما تركها تواجه مصيرها ولا يرى لها نصيبا تناله معنا إلا إذا زهدنا في هذه الدار بمحض إرادتنا.

زكية: ولن أزهد فيها ولن تنال حسناء شيئا منها خلا ما يهبه لها سهيل فهل لك رأي يعرقل هبته لها إلى مدة طويلة فلعله ييأس ثم يتراجع عن موقفه.

منصور: من جهة القانون لا توجد لكن بحيلة ممكن عرقلته وقد لا تقع الهبة.

زكية: كيف؟

منصور: نستمر في رفض عودة حسناء إلينا أو بيع الدار فإذا أصر سهيل على بيعها بدافع مؤازرته لها بنصيبه نتظاهر بأننا لم نقدر على عدوله عن رأيه ما دام له نص قانوني وعرف مجتمع يورثاه معنا، فنوافق على بيع الدار ونحن ندعي بأنه ينهي النزاع فيها ثم نشترط له أن يكون فعله هادفا في إيصال نصيبه إلى حسناء وبما أنها غائبة نطلب منه البحث عنها، فإذا وجدها ننطلق في البيع وثقي بأنه لن يعثر عليها بحثا منه أو بوسائل الإعلام لأنها لن تستجيب لها، وفرضا يعثر عليها صدفة فلن يستطيع إقناعها بمرافقته إلى بيته ريثما تباع الدار ثم يسلم لها نصيبه.

زكية: إني أخشى أن يوافق على شرطنا ثم ينطلق في البحث عنها بوسائل الإعلام فيجدها بسهولة ملبية رغبته، ثم تقصد مسكنه بعدما تكون قد عانت من التشرد أو حياة صعبة بغير كفالة فوجدت من يأخذ بيدها وإنها الآن تتمنى مأوى مستقرا.

منصور: أستبعد استنتاجك لأنني أتوقع عدم استجابتها لإعلانه بدليل هروبها من هنا بمحض إرادتها قبل أن تطرد ولذا تصر على الهروب إلى الأبد.

زكية: أؤيدك في أنها هربت بمحض إرادتها قبل الطرد لأنها رأته مصيرها لكن أحيانا يندم الإنسان على تقرير مصيره إذا كان مرا، ولذا أتوقع أنها نادمة على الهروب وهي تتمنى لو تجد من ينقذها من التشرد فتجد سهيل يبحث عنها ثم تلبي رغبته مسرورة، فتوقعنا في بيع الدار أبحث عن حيلة توصلنا إلى هدفنا بغير عثرة.

منصور: إني لا أرى حيلة أخرى غير الحيلة الآنفة الذكر فلنجربها عسى أن يتحقق استنتاجي في ألا تستجيب حسناء لإعلان سهيل في الجرائد.

زكية: وإذا استجابت له رغبة في أن ينقذها من التشرد فماذا نفعل بعدئذ؟

منصور: نبيع الدار.

زكية: لن تباع ولن تأخذ شيئا منها.

منصور: هذا موقفك لكن نص القانون يمنحها من نصيب سهيل منها، وإنك الآن مخيرة بين تجريب حيلتي أو استعدادك على البيع مادام سهيل مصرا عليه لمؤازرة حسناء.

زكية: ظننت أنك تجد لنا سبيلا آمنا نتبعه في إبطال البيع فإذا بك تتوقع بيعها إذا ما عثر على حسناء.

منصور: إني لم أتوقع بيعها باستنتاجي في ألا تستجيب حسناء لإعلان سهيل إذن نجرب الحيلة وثقي بأنها تكون محكمة.

زكية: سألجأ إليها إن يبطل رأي خطر على بالي الآن وهو أن أطلب من عقبة انضمامه إلينا نحن الاثنين في رفض عودة حسناء وعدم منح لها أي شيء منها، فلعل سهيل يستحي من نفسه فيتراجع عن موقفه حالما يعلم أن أخاه الأكبر منه سنا والأصغر مطيعين لي فيقتدي بكما.

منصور: جربي هذا الرأي غير أنني أظن أن عقبة يظل محايدا لا ينضم إلينا ولا يستعد على الهبة لها مثل سهيل، وإنما تركها تواجه مصيرها وهو يعلم أنه التشرد فتركها تواجهه.

زكية: نعم لأنها لم تطلعه على فرارها فقابلها بإهماله لها وهو يعلم أنها متشردة الآن وقد اختارته من تلقاء نفسها قبل الطرد، ومن خلال موقفه اتجاه حسناء أتوقع أنه ينضم إلى صفنا تأكيداً لإهمالها فعلاً وقولاً (تنادي) عقبة... عقبة **(يظهر).**

عقبة: ماذا تردين مني يا أماه؟

زكية: لقد كثر النزاع في هذه الدار فهل تريد فضه؟

عقبة: لقد اخترت ألا أكون طرفا فيه عليها ودليلي هو أنني لم أقرر الهبة لحسناء منها مثل سهيل ولم أعارضها مثلك مع منصور، بينما فض النزاع عليها أستحسنه رغم استبعادي له وقد يكون مستحيلا.

زكية: بل ربما يكون ممكنا لكن بانضمامك إلينا فيعدل سهيل عن موقفه على استحياء منه فلا ينازعنا، وهنالك يفض النزاع عليها ولذا أريد منك أن تعلن رأيك جهارا في رفض بيع الدار فيقتدي بك أخوك لأنه يصبح الوحيد في النزاع معنا.

عقبة: وإنه الآن يعلم أنه الوحيد في النزاع معك ومع منصور عليها لأنه يدري بأنني لم أظهر نزاعا عليها وإنما اخترت موقف الحياد.

زكية: لكن بانضمامك إلينا وتخليك على الحياد يوحي إلى سهيل بأنه على خطإ فيتراجع عنه معتذرا.

عقبة: وإن لم يتراجع عنه ولن يتراجع بحافز مؤازرة حسناء يظل النزاع قائما ولو أنضم إليكما لكن غايتي هي تبدده، ولن يتبدد إلا إذا قررنا جميعا بمحض إرادتنا الزهد فيما نملك وليس البعض.

زكية: ولن يكون مني ولن تنال حسناء شيئا منه خلا ما يهبه لها سهيل إن لم أستطع منعه عن قراره.

عقبة: ولن تستطيعي لأنه شريك لك فيه إذن يستحيل فض النزاع إلا بالزهد فيها.

زكية: ولن أزهد فيها ولا نص قانوني ينص على الزهد فيها.

عقبة: إذن يظل النزاع قائما فاخترت الحياد.

منصور: إن عَرضنا منك هو هل تقتدي بنا أو بسهيل؟ لأنه لا يوجد لك خيار ثالث لك، وإنما موافقتك على رأي سهيل أو رأينا في آن واحد وهذا تناقض منك بموقف الحياد.

عقبة: نعم لأنني لم أجد غيره ما دمت مقيدا بكم في النزاع عليها.

منصور: ونحن مقيدون بعرف المجتمع ونص القانون يطبق ولا يظل حبرا على ورق.

عقبة: وسهيل مقيد بحقيقة العلم تقال ولا تكتم لكنها أوصلتنا إلى النزاع ولا حل له، وإنما انفراج مؤقت بما يمنحه لحسناء إذن يظل متكررا إلى الأبد.

منصور: احتفظ بأرائك لنفسك بعدما رفضت الانضمام إلينا لأنه لم يبق لي إلا الاهتمام بالتحقيق في الجناية وقد يدين نبيل بها بعد ثبوت الأخوة المتوقعة جدا.

عقبة: وقد لا يدينه بها إذا قدم دليلا منطقيا يبرئه منها كأن يكون موقفه من إثم زوجته هو أن يدعها لتأنيب الضمير، أو يقتاد برأي الحكماء في ألا يقابل شرا بشر وهذا محتمل عندي بدليل اختفائه قبل وقوع الجناية بسنة واحدة.

منصور: أو تظن أنه عاقبها بتأنيب ضميرها، لكن الجناية على أبينا ثابتة علميا.

عقبة: ولا يكون بالضرورة هو الذي اقترفها.

منصور: ومن يكون في رأيك؟!

عقبة: أحتمل أن يكون أخوال حسناء هم الذين اقترفوها إذا خبروا عنها.

منصور: أو تظن أنهم هم الجناة؟!

عقبة: إنها محتملة منهم كذلك وليست مستحيلة.

زكية: نعم إني أحتملها منهم ثارا لكرامتهم وبه يتحقق رأي منصور سابقا في اطلاعهم على فاحشة أختهم وأخفوها عنا.

منصور: لقد احتملت اطلاعهم عليها ثم أخفوها بحجج مبتكرة منهم وليس من أختهم لعدم البحث عن صهرهم بها.

زكية: نعم لقد شككت في صدورها منها لكنك لم تحتمل الجناية منهم مثلما احتملها عقبة.

منصور: إني الآن أحتملها منهم أكثر من احتمالها من نبيل بناء على اختفائه قبلها بسنة، وعدم البحث عنه منهم بحجج أختهم الواهية وقد شككت في صدورها منها لكن الآن أعدها ابتكاراً منهم لإخفاء الفضيحة.

زكية: إني أجزم الآن بأنهم قد خبروا عن إثمها بدليل علمي في أن حسناء قد كانت ذليلة في بيتهم.

منصور: لأنهم علموا بسبب اختفاء نبيل عن الأنظار فعقدوا العزم على الثأر لكرامتهم من أبينا ثم من أختهم بعدئذ لمحو وصمة عارهم. وتقبلوا حسناء على مضض لأن لا ذنب لها وفضلا عن هذا كانت صغيرةُ السن لكن لم تجد بدا من إهانتهم لها وهذا هو سبب معاناتها عند أخوالها.

زكية: لقد حدثتني عن شغلها الكثير عندهم كأنها أمة ولم تر النور إلا في زواجها لكنه خاب لديها، فلم تجد مفرا من الهرب بمحض إرادتها ظانة أنه يكون أهون عليها.

عقبة: لقد حذرتها من مصيرها لكنها أصرت على التفاؤل في إصلاح الأجنة تأثيرا بمن سلفها فلم تتراجع عن موقفها فأدى بها إلى التيه.

منصور: لا عودة بالزمن إلى الماضي وإنما هو مستمر إلى المستقبل فيكشف لنا فيه حقيقة الجناية، وأظن أن التحقيق فيها يدين بعدئذ أحد الطرفين بها.

عقبة: وإذا أدين أحدهما بها تتكرر الجناية بنص قانوني.

منصور: بل جزاء قانونيا وليست جناية.

عقبة: ولا يخلو من الألم مثلما لم تخل هذه الدار من النزاع فلا تظنون بعدئذ أن العلم قادر على إصلاح الأجنة البشعة ولا تأملون في تحقيق الوهم مثلي لم تدركوه حتى اصطدمتم بالحقيقة المرة.

ـــــ ستـــارُ النهاية ـــــ

الجزائر العاصمة في: 20 أكتوبر 2010.

كتبها: ع.ل: ابن آدم.

مسرحيات للكاتب

1- دار الشك: ط، 2007.
2- في هذه الدار: ط، 2007.
3- العكاز: ط، 2008.
4- الصماء: ط، 2009.

الطبع في الجزائر.